



مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية

يشرف على إصدارها قسم الشريعة الإسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
(مجلة علمية محكمة)

تنشر البحوث العلمية الأصيلة في العلوم الإسلامية

الثامن والخمسون

جمادى الآخر ١٤٣٦ هـ - إبريل ٢٠١٥ م

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



مجلة

الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية

يشرف على إصدارها قسم الشريعة الإسلامية

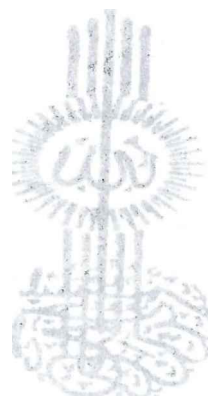
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

(مجلة علمية - محكمة)

تنشر البحوث العلمية الأصيلة في العلوم الإسلامية

العدد الثامن والخمسون

جمادى الآخرة ١٤٣٦ - أبريل ٢٠١٥م



کتابخانه

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

کتابخانه ملی و اسناد ملی ایران

مصادر قوة الأمة الإسلامية

د. معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني

• مقدمة:

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ورضي الله عن الآل والصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد،،،

فإن الله عز وجل خلق الكون فأبدعه وأحسن صنعه، وهَيَّاه وسخره للناس جميعاً، قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة السجدة، الآية: ٦-٧]، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وشرع سبحانه وتعالى لخلقهِ شرعاً قوياً، ختمه برسالة الإسلام التي أراد الله تعالى لها أن تكون ظاهرة على الدين كله، بما حوته من مبادئ وأسس، وما تميزت به من خصائص ومحاسن، وما لاحظت فيه من مقاصد وكليات، وما دارت حوله من قيم ومثل، قال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٥].

كما جعل الله تعالى الإنسان خليفة في الأرض، وخص طائفة من خلقه بحمل الأمانة وأداء الرسالة، تقوم على مصالح الدين والدنيا، وتعي حقائق

الدين ومدلولاته، وتحسن التعامل مع حقائق الكون ومعطياته، وتؤدي دورها في تحقيق التفاعل بينهما، لتكون بذلك أمة وسطاً، خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣].

ومع الإيمان بالحقائق والمقدمات السابقة أتى على أمة الإسلام زمان فقد فيه كثير من أفرادها فاعليتهم، وشوهوا بفكرهم وسلوكهم صورة دينهم، وابتعدوا عن زمام قيادة الكون وتسخيرها، وأصبحوا تبعاً لغيرهم، في عصر تتجاذبه قوى التدافع، وتستلبه إمكانات العولمة الحديثة، بكل مجالاتها وآلياتها ووسائلها...

وفي خضم هذا التدافع نحو السيادة والقيادة والريادة، برزت أصوات إسلامية إصلاحية، تحمل على عاتقها حمل لواء الدعوة إلى ما صلح به أول هذه الأمة، لتعود بالأمة الإسلامية إلى مكانتها وفاعليتها، وتصل بها إلى مقامها ورتبتها، ومع تنوع مناهج وأساليب ووسائل المصلحين والدعاة إلى الله تعالى، قامت جهود مشكورة بإبراز مكامن القوة والتمكين في الأمة الإسلامية، لتفعيلها وتنميتها، واختلفت في المنطلقات التي انطلقت منها، فكان منها ما توجه نحو القوة في الدين والملة، ومنها ما اتجه نحو القوة في الكون والمادة، ومنها ما اتجه نحو القوة البشرية الفاعلة، وهكذا...

ومع تعدد هذه الدراسات وتنوع أساليب عرضها، فقد غلب على كثير منها التداخل بين المصطلحات، أو الاجتزاء والاقتصار على بعض

المجالات، أو عرضها في سياقات خاصة^(١)، مما يؤكد ضرورة وجود مؤلف يجمع بين هذه المجالات، ويصنفها وفقا لمفاهيمها المصطلحية، ويجعل

(١) نظرا لصعوبة حصر المؤلفات التي يمكن أن تعتبر دراسات سابقة للبحث، فيكتفي الباحث بعرض نماذج منها، انظر مثلا: كتاب: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ليوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، وقد تحدث الكتاب عن بعض الأبعاد الدينية، المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق، وذلك من خلال تفاعل الإنسان معها في السلوك الاجتماعي، ومن ثم تطرق إلى القيم الإنسانية باعتبارها تقوم على احترام الإنسان وكرامته، وقد أفاد الباحث في توضيف وتطوير ما يتصل بالبحث من أمور، ومن ثم عرضها، كمصدر من مصادر قوة الأمة الإسلامية، وبييان موضعها في منظومة الحضارة الإسلامية، كما توجهت الدراسة هنا لعرض القيم باعتبارها مقصودات الشارع الحكيم على اختلاف رتبها ودرجاتها، لتشكل مظلة للحراك النهضوي للأمة الإسلامية في تفاعلها الحضاري. وانظر كتاب: مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، لماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، حيث عرض لمواصفات الشخصية الصالحة، وأساليب ومتطلبات صناعتها، ومقومات تأهيلها للقيام بدورها، واختصت الدراسة هنا بعرض نموذج الإنسان المسلم بصفته محورا من محاور مصادر قوة الأمة الإسلامية، وذلك من خلال تفاعله مع الدين والحياة وتميزه عن غيره من البشر.

وانظر كتاب: العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلا القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، حيث ذكر في الفصل الأول: لمحة عن العالم الإسلامي، (مقدراته وثرواته وسكانه)، تمهيدا لعرض المكائد الموجهة نحو الإسلام والمسلمين، وقد أفاد الباحث من المعلومات الواردة في الكتاب، ووظفها في سياق الخطة العامة للبحث. إلى غير لك من دراسات وبحوث، استثمرها الباحث في عرضه لمباحث الدراسة ومطالبها...

منها وحدة متألّفة لعرضها في منظومة متكاملة، وفقا لسياقات البحث ومتطلباته...

إضافة إلى حاجة النهضة الإسلامية اليوم إلى تبصير بمقومات القوة في الأمة الإسلامية، تنميما لما جاء في بعض المؤلفات الإسلامية التي تؤسس لنظرية التخطيط في الدعوة الإسلامية^(١) عبر رصد لواقع القوى العالمية بين مقومات القوة والضعف، مما يؤكد عالمية الدين الإسلامي وظهوره على الدين كله...

ومن هنا يمكن تحديد أهمية الموضوع بما يلي:

- ١- حاجة الدعوة إلى تأسيس رؤية إستراتيجية شاملة، تهئ الأجيال لتعزيز أثر الأمة الإسلامية وفاعليتها الحضارية.
- ٢- ضرورة وضع إطار منهجي لجوانب الموضوع في منظومة شاملة ومتكاملة، تبصر المسلمين بمصادر القوة في أمتهم، وتعمل على عرها في سياق الحراك النهضوي للأمة.
- ٣- أهمية النهوض الحركي نحو الانفتاح والعالمية توافقا مع طبيعة الواقع المعاصر، الذي يشهد تنافسا شديدا بين مختلف القوى الحضارية المتنوعة.

وتأتي هذه الدراسة في سياق رؤية إستراتيجية شاملة، تؤطر لعناصر النهضة الإسلامية، التي تركز على ثلاثة عناصر؛ أما العنصر الأول فهو الإنسان باعتباره خليفة الله في هذه الأرض، (ويراد به هنا الإنسان المسلم)، وأما العنصر الثاني فهو المنهج باعتباره موجها ومؤثرا في حراك الإنسان،

(١) انظر التخطيط للدعوة الإسلامية، لعلي محمد جريشة، طباعة رابطة العالم الإسلامي.

(ويراد به هنا الدين الإسلامي)، وأما العنصر الثالث فهو الكون باعتباره البيئة التي تحكم الفاعلية الحضارية وتتجلى فيه صورها في هذه الحياة، وبهذا تغطي الدراسة جانب مصادر القوة في الأمة الإسلامية، بمجالاتها الكونية والدينية والبشرية، من خلال منهجية علمية تعتمد على الوصف والتحليل، واستنباط الحقائق والمعالم، منطلقاً من مصادر التشريع الإسلامي الحنيف، ومستحصبة لبعض ما جاء من كتب التراث الإسلامي القديم والحديث، وملتزمة بمتطلبات البحث العلمي المتعارف عليها في مثل هذه البحوث في الأوساط الأكاديمية، من تحديد للمجال، وبيان للمنهج، وبناء للهيكلة وتنظيم وتوثيق للنصوص، وذكر للمراجع والمصادر، وجاءت الدراسة وفقاً للمخطط التالي:

• خطة البحث:

المقدمة: وفيها بيان بأهمية الموضوع وسبب اختياره، وعرض لمنهجية البحث وهيكله.

التمهيد: وفيه بيان بأبرز مصطلحات البحث.

المبحث الأول: مصادر قوة الأمة الإسلامية في الكون والطبيعة، وفيه خمسة مطالب: ثبات السنن الكونية، وانسجام مجالات الحياة مع الشريعة الإسلامية، والموقع الإستراتيجي، والثروات الكامنة، والمساحات الكبيرة والمتنوعة.

المبحث الثاني: مصادر قوة الأمة الإسلامية في الدين والرسالة، وفيه خمسة مطالب: المبادئ الإسلامية العامة، والمقاصد الإسلامية العامة، والقيم الإسلامية السامية، والخصائص الإسلامية العامة، والخصائص الإسلامية العامة.

المبحث الثالث: مصادر قوة الأمة الإسلامية في الإنسان والفكرة، وفيه تسعة مطالب: كثرة العدد، وتنوع الأجناس، ووضوح المهام وتحديد المسؤوليات، وتنوع وتباين القدرات، والسعي إلى التزكية، واجتماع المسلمين، وانسجام طبيعة المسلم مع الشريعة، وانسجام أفراد الأمة مع الكائنات الأخرى، والتميز النوعي للمسلم.

الخاتمة: وفيها عرض لمخلص البحث وأبرز توصياته، ثم المراجع والمصادر، والفهرس.

سائلا المولى عز وجل بفضلله وكرمه أن يكون هذا البحث موفقا، وأن يمدني بعونه، ويوفقني بتسديده، ويمن علي بقبوله، وأن يجعله لوجهه خالصا، وللناس ناصحا، ولي يوم الحساب مخلصا، إنه خير من سئل، وأعظم من أعطى، وهو ولي التوفيق..

• التمهيد:

يحسن في مقدمة هذه الدراسة بيان المصطلحات ومدلولاتها المفاهيمية، وذلك تحقيقا لمتطلبات الوعي الحضاري من جهة، وتأصيلا للتصنيف المتبع في البحث من جهة أخرى.

فالمراد بالمصادر هنا المواضع والأمور التي تستمد الأمة الإسلامية قوتها منها، فقد جاء في لسان العرب: «الصَّنْدَرُ أعلى مقدَّم كل شيء وأوَّلُه، حتَّى إنهم ليقولون صَنَدَرُ النهار والليل، وصَنَدَرُ الشتاء والصيف، وما أشبه ذلك مذكراً.. والموضع مَصْنَدَرٌ، ومنه مَصَادِرُ الأفعال»^(١).

ونظرا لكثرة مصادر القوة في الأمة الإسلامية، فسأقتصر على ذكر

(١) لسان العرب، ج ٤، ص ٤٤٥-٤٤٨.

أبرزها من خلال محاور التفاعل الحضاري: (الكون والطبيعة، الدين والرسالة، الإنسان والفطرة)، والتي يمكن أن أعتبرها المرتكزات والأسس العامة التي قامت عليها أمة الإسلام في دينها وشريعتها ومنهجها.

فالأساس والمرتكزات هي القواعد الأساسية التي تقوم عليها الأمة الإسلامية، فقد جاء في لسان العرب: «(أسس) الأسُّ والأسَّ والأسَّ والأسَّ: كل مُبْتَدَأٍ شَيْءٍ، وَالْأَسُّ وَالْأَسَاسُ أَصْلُ الْبِنَاءِ...، وَجَمَعَ الْأَسَّ إِسَاسًا، مِثْلَ عُسٍّ وَعِيسَاسٍ، وَجَمَعَ الْأَسَاسَ أُسَاسًا»^(١)، وجاء في لسان العرب: «الرَّكُوزُ غَرَزُكَ شَيْئًا مُنْتَصِبًا كَالرَّمْحِ وَنَحْوَهُ تَرَكُّزُهُ رَكْزًا فِي مَرَكْزِهِ... وَالْمَرَاكِزُ مَنَابِتُ الْأَسْنَانِ، وَمَرَكْزُ الْجُنْدِ الْمَوْضِعُ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَلْزَمُوهُ وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَبْرَحُوهُ، وَمَرَكْزُ الرَّجُلِ مَوْضِعُهُ، يَقَالُ أَخْلَى فُلَانٌ بِمَرَكْزِهِ...، وَمَرَكْزُ الدَّائِرَةِ وَسَطُهَا...»^(٢).

وقد قامت أمة الإسلام على أسس ومرتكزات عظيمة وسامية، انبثقت عنها محاسن وخصائص كثيرة، من حيثيات متعددة، ومن ابرز تلك الأسس والمرتكزات:

١ - الكون والحياة: الكون والحياة هما الأساس والركيزة الأولى التي قام عليها الإسلام، لأنهما مسرح التفاعل البشري في هذه الدنيا، ومحل استخلاف الله تعالى له، وذلك من حيثيات متعددة، منها:

أ- السنن والنواميس الكونية: فقد جعل الله تعالى في كونه سننا وقوانين ثابتة، تحكم مسار الحياة في هذه الدنيا، من حيث إنها أسباب ومقدمات توصل

(١) لسان العرب، ج ٦، ص ٦، المكتبة الشاملة.

(٢) لسان العرب، ج ٥، ص ٣٥٥.

إلى غيرها من الحقائق والنتائج، ومن هنا فقد وجه الإسلام إلى العناية بمعرفة السنن والنواميس الكونية، ودراستها دراسة نافعة، تعرف الإنسان بحقائقها، وترشده بأبعادها ونتائجها، ليسير على بصيرة من أمره في التعامل مع الكون، والسير في هذه الحياة، مع التأكيد على أنها أسباب ذراها الله تعالى في كونه، وليست بمسببات مستقلة قائمة بذاتها، وقد جاء الإسلام ديناً قوياً منسجماً مع هذه السنن والقوانين الكونية ومتناسقاً معها بصورة عجيبة معجزة، تهدي من الناس إلى الطريق الأمثل للإفادة منها، والسبيل الأقوم للتعامل معها، ليجعل منها أساساً من أسسه ومرتكزاً من مرتكزاته.

ب- تغير الحياة وتقلباتها: فقد جعل الله تعالى من طبيعة الكون والحياة والخلق جميعاً التغير والتحول والتقلب، قال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي - رحمه الله تعالى -:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دَوْلَ مِنْ سِرَّةِ زَمَنْ سَاعَتَهُ أَرْمَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ^(١)

٢- الدين: أما ركيزة الدين فهي الأساس والمرتكز الثاني الذي يقوم عليه الإسلام، وذلك من حيثيات متعددة، منها:

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، الباب السابع: في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان، وبذلهم، ج ٤، ص ٤٨٧، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة ١، ١٩٩٧م.

أ- المصدر الذي تستمد منه العقائد والشرائع والأحكام، وتستقي منه المكارم والفضائل والأخلاق، فالمصادر والأصول التشريعية الأصلية في الإسلام من كتاب وسنة وإجماع تعتبر أساسا من الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامي، ومرتكزا من المرتكزات التي يعتمد عليها.

ب- وحدة المبادئ الإسلامية وثباتها، فقد جعل الإسلام من المبادئ الإسلامية التي تجتمع عليها أمة الإسلام قاطبة في مجال العقيدة والشرعية والأخلاق أركاناً ثابتة، لا تحتمل التغيير ولا التبديل ولا التأويل لتكون أساسا من الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامي، ومرتكزا من مرتكزاته التي يعتمد عليها.

ج- وحدة الغايات والمقاصد التشريعية وسموها، فقد توجه الإسلام في عقائده وشرائعه وأحكامه إلى غايات سامية، ومقاصد عظيمة، تحدد للإنسان توجهاته في الحياة، وترشده في مناهجه التي يعتمد عليها، وتصحح مساره في فهم الدين وشرائعه المختلفة.

٣- الإنسان: أما الإنسان فهو الأساس الثالث والركيزة التالية التي جعل الإسلام منها خليفة الله تعالى في أرضه واستعمره فيها، وقد جاء الإسلام مستوعبا لقدرات الإنسان ومتطلباته، من حيثيات متعددة، منها:

أ- من حيث تكوين الإنسان: عقله وفكره، وجسده وكيانه، ومشاعره وعواطفه، وفطرته وروحه، فقد جاء الإسلام ليحقق لكل نطاق احتياجاته ومتطلباته، ويوجهه لأداء واجباته ومهامه، وذلك بصورة متوازنة متكاملة وشاملة، تحقق للإنسان سعادته ونجاحه في دنياه وآخرته، وبهذا يكون

الإنسان أساساً من الأسس التي يقوم عليها الإسلام، ومرتكزاً من مرتكزاته التي يعتمد عليها.

ب- من حيث تفرد واجتماعه: فقد توجه الإسلام إلى الإنسان الفرد بالتزكية والتربية والتأديب ليجعل منه أساساً صالحاً مؤهلاً للاعتماد عليه، وتحمله الأمانة، وتكليفه بها، وشرع له أحكاماً خاصة تحقق له رغباته، وتلبي كل متطلباته، وتؤمن له كل احتياجاته، وتحجزه عن تجاوز حدوده ومسؤولياته، وذلك بتقدير وتوازن بين مكوناته الشخصية الخاصة، كما أن الإسلام توجه إلى الإنسان كمجتمع مكرم يستوي مع غيره من بني جنسه، تجمع بينه روابط كثيرة، تبدأ برابطة الأخوة البشرية، لتجعل منه أمة إنسانية مجتمعة في أصولها، ومتنوعة في انتماءاتها وتوجهاتها، لتمثل كل مجموعة منها كياناً خاصاً بها، وميز من بينها أمة الإسلام، التي ربطت بينها أسمى وأعظم الروابط، لما تتميز به من خصائص ومحاسن، تحقق لها القوة والاستمرار، وترقى بأفرادها عن الروابط الطينية التي تجمعهم إلى العقيدة الربانية التي توحدهم، كما جعل لكل فرد من أفراد المجتمعات البشرية حقوقاً خاصة، وكلفه بواجبات عامة بعدالة تامة، تحقق للمجتمع البشري سلامته وانسجامه، ومن هنا فقد جعل الإسلام من الإنسان من حيث جنسه بصورة عامة، ومن حيث المتمسكين بدين الله وشرعه، والمنتمين إليه بصورة خاصة، أساساً من الأسس التي يقوم عليها، ومرتكزاً من مرتكزاته التي يعتمد عليها.

وسأشير إلى أبرز مصادر القوة في المرتكزات السابقة وذلك في مجالاتها الثلاثة: المصادر الكونية، والمصادر الدينية، والمصادر البشرية.

• المبحث الأول: المصادر الكونية لقوة الأمة الإسلامية:

خلق الله تعالى الكون فأحسنه وأبدعه، قال جل شأنه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة السجدة، الآية: ٧]، وكان في خلق الله تعالى لهذا الكون دلائل وعبر للذين استعملوا ما وهبهم الله تعالى إياها من العقل والفكر في التأمل والتفكير، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٤].

وبهذا تتجلى لنا روعة الخلق وتسويته وتدبيره وهدايته، فالله تعالى هو الذي خلق كل شيء فأبدعه وأحسنه، وفكره على طاعته فخر لعظمته ساجدا مسبحا بحمده، حتى بدت روعة الخلق آية من آيات الله الجليلة، يهتدي إليها العقلاء، ويأنس بجمالها العارفون، فيرون ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٨٨].

وقد هيا الله جل شأنه الكون وسخره وزينه للإنسان، وجعله مسرحا لحركته ونشاطه، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٠].

ويحدد الدكتور محمد عمارة - حفظه الله - موقع الإنسان من الكون في المنظور الإسلامي بقوله: «فالإنسان بنظر الإسلام ليس الحقيقير الساعي إلى

الفناء والإمحاء، وليس السيد في هذا الوجود، وإنما هو وسط بين هذين الموقعين المتطرفين! إنه سيد في الكون دون أن يكون سيده، وله سخرت كل طاقات الطبيعة وظواهرها، لا ليكون السيد المطلق في تعامله معها، وإنما ليتعامل وإياها بسلطة وسلطان الخليفة والوكيل والنائب عن الله سبحانه وتعالى...»^(١).

وبما أن الكون محور من محاور التفاعل النهضوي للأمة الإسلامية، فإنه يحسن التعرف على بعض ما ذراه الله تعالى فيه من خصائص ومقومات تجعل من المسلمين طرفاً فاعلاً ومتميزاً من أطراف التدافع الحضاري، وتكون لهم مصدراً من مصادر قوتهم في ميدان التدافع، فيكون لهم الظفر والتمكين والظهور والانتشار في هذا الكون الفسيح، وقد جاء المبحث في خمسة مطالب: ثبات السنن الكونية وانسجامها مع الشرع الإلهي. وانسجام الحياة ومجالاتها في هذا الكون مع الدين الإسلامي. والموقع الإستراتيجي. والثروات الكامنة. والمساحات الكبيرة والمتنوعة.

المطلب الأول: ثبات السنن الكونية وانسجامها مع الشرع الإلهي:

فإن الله تعالى هو الذي خلق الخلق فأبدعه وسن فيه قوانين وسننا أمرنا بتدبرها وتأملها، فقال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٧]، كما جعل الله تعالى هذه السنن ثابتة مستمرة لا تتغير ولا تتبدل، قال جل شأنه: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٣].

(١) العطاء الحضاري للإسلام، لمحمد عمارة، ص ٤٢، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،

الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

وكما سن الله تعالى هذه السنن في كونه، شرع لعباده المؤمنين شريعة تتوافق مع هذه السنن، وتتسجم معها انسجاماً يؤكد أن مصدر الخلق والشرع من الله جل وعلا، وهذا ما أكدته رب العزة والجلال بقوله: ﴿سَرُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٥٣].

فهذه السنن المتعددة والثابتة تعين الإنسان على فهم الحياة وطبيعتها، ومعرفة الواقع وخصائصه، فيسير على هدى وبصيرة من أمره، ملتزماً بشرع ربه، كما سار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دعوته، قال جل شأنه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف عليه السلام، الآية: ١٠٨].

بل إن الإنسان مسلماً كان أم غير مسلم إذا عرف تلك السنن ودرسها، استطاع أن ينجح في حياته المادية، وأن يسخر الكون لاحتياجاته ورغباته، لأنها قوانين ومعادلات واضحة، من سار على دربها ووفقاً لمتطلباتها حصل على ثمراتها ونتائجها، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف: الآية: ٣٠]، وهذا ما نشاهده اليوم في الجانب المادي في الحياة الدنيا، من تطور واسع، وظهور كبير لغير المسلمين في بعض مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية وغيرها....

المطلب الثاني: انسجام الحياة ومجالاتها في هذا الكون مع الدين الإسلامي؛

خلق الله تعالى الخلق فأبدعه، وشرع له الدين فقومه وأصلحه، فالدين الإسلامي منسجم متلائم مع الحياة ومجالاتها المختلفة، وتطوراتها ومتطلباتها، في جميع شؤونها وأحوالها، ومن ذلك:

١ - انسجام الدين مع العلم والتقدم: فالعلم هو قوة هذه الحياة وهو محركها وقائدها، ولأصحابه حق السيادة على الكون، وقد جعل الله تعالى دين الإسلام وملة الإسلام قائمة على العقل والتفكر والتأمل، بل جعل ذلك العلم رافداً من روافد تقوية الإيمان وتعميقه في قلوب العباد، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى هذا الدين، ودليلاً على عظمة الخالق الجليل، قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَاتِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨].

ولهذا فقد فضل الله تعالى العلماء على سائر الناس، ورفع قدرهم، وأعلى من شأنهم، قال سبحانه: ﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١١]، وقال أيضاً: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٩].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُجْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١).

(١) سنن الترمذي، باب العلم، كتاب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٠٩، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تُقْتَصُّ آثارهم، ويُقْتَدَى بأفعالهم، وينتهي إلى رأيهم...، وبه يُعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»^(١).

٢- تنظيم الدين للجانب السياسي في الحياة: فالمسلم ينطلق في هذا الكون من شعوره بخلافته في هذه الأرض، وواجبه في تحقيق ما أمره الله تعالى به، فيقوم بحفظ الدين وسياسة الدنيا به، انطلاقاً من مبدأ الشورى الراشدة، التي تلتزم شريعة الله، وتحمل المسؤولية للناس جميعاً، وتؤكد على واجب الجميع نحو تحقيق الصواب في سيرها، والنجاح في خلافتها، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٨].

(١) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر، وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م. وقال عن الحديث: حديث حسن جداً، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه، من طرق شتى موقوفاً - أي على معاذ رضي الله عنه -، ج ١، ص ٥٤-٥٥.

٣- تنظيم الجانب الاقتصادي في الحياة: وذلك انطلاقاً من شعور أفراد أمة الإسلام بأن المال مال الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٣]، فالمال رزق من الله تعالى لعباده، يرزق من يشاء ويمنع من يشاء بيده الخير والأمر، قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣]، وباعتبار المال عصب هذه الحياة، فقد جعل له الشارع طرقاً مشروعة في الحصول عليه، وضوابط محددة في الإنفاق منه، ومتعلقات متعددة من حيث الحقوق والواجبات، وتوازنات معلومة تحقق حق الأفراد وتضمن حق المجتمع فيه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر، الآيات: ٦، ٧].

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»^(١).

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٤١٧، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٤- تنظيم الجانب الاجتماعي في الحياة: ويتمثل ذلك في حرص الإسلام على إعداد الفرد والجماعة إعداداً شاملاً متكاملًا، يجعل من الفرد امرأً صالحاً، في نفسه ومزكياً لها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس، الآيات ٧-١٠].

كما يتسع صلاح الفرد في نفسه ليكون صالحاً في أسرته ولبنته من لبناتها المتينة التي تحكمها ضوابط وخصائص ربانية تربط بين أفرادها وتوزع الحقوق والمسؤوليات داخلها، قال تعالى: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٨]، وتعتبر هذه الأسرة لبنة من لبنات الأمة الإسلامية عامة، لها حقوقها وعليها واجباتها.

فعن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ: أَخَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ عليه السلام، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ! قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْتُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١).

(١) صحيح البخاري، باب من أفسَمَ على أخيه لِيُفْطِرَ في التَّطَوُّعِ ولم يَرَ عليه قَضَاءَ إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ، حديث رقم ١٨٦٧.

٥ - تنظيم الجانب الأمني في الحياة: جعل الله تعالى من أهم مقاصد

الشرعية تحقيق متطلبات الحياة الكريمة للإنسان، بحيث يأمن على نفسه وماله وعرضه وعقله ودينه، حتى كان من وعد الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين أن يبذلهم من بعد خوفهم أمنا، قال جل شأنه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

وعن مِخْصَنِ الْخَطْمِيِّ رحمته الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»^(١).

فحقق الإسلام المحافظة على هذه المقاصد ابتداءً، كما حقق الوقاية من التعدي عليها، وشرع سبل معالجتها، وذلك بتعزيز الوازع الديني الذي زرعه الإسلام في نفوس أتباعه، وهذبهم به، والرقابة الذاتية التي تنشأ وتقوى بالعقيدة والشرعية والأخلاق الإسلامية، وتسهم في الحفاظ على هذه الضرورات والمقاصد الإسلامية، وتقي الإنسان من الوقوع فيما يخل بها، كما شرعت الضوابط والحدود والعقوبات التأديبية التي تلحق بمن وقع في تجاوز بمن وقع في تجاوز أو إساءة إلى أمن الأفراد والمجتمعات، وذلك لمعالجة الأوضاع الاستثنائية علاجا جذريا، يقضي عليها، ويجعل الرهبة

(١) سنن الترمذي، باب في التوكل على الله، حديث رقم ٢٣٤٦، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

والخشية رادعة عن التعدي على تلك المقاصد والضرورات لدى من ضعف لديه الوازع الديني.

إلى غير ذلك من مجالات الحياة، فالدين الإسلامي يدعو إلى تسخير الكون المادي لخدمة الإنسان، ولا يقف حائلاً دون ذلك، بل يحثه ويدفعه إلى أن أفضل السبل وأحسنها للتعامل مع تطورات الحياة وتغييراتها.

المطلب الثالث: الموقع الاستراتيجي:

جعل الله تعالى مركز انبثاق هذا الدين وأهله من نقطة نواة هذا العالم وقلبه، فقد أثبتت الدراسات الحديثة توسط مكة المكرمة لليابسة في هذه الأرض التي خلقها الله تعالى، وأشارت تلك الدراسات إلى الإعجاز العلمي في قول الحق جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٧] (١).

وقد أعطى هذا الموقع الاستراتيجي للبلاد الإسلامية في وسط العالم بعداً إيجابياً في التواصل بين المسلمين وشعوب العالم أجمع، عبر الطرق المتنوعة البرية والجوية والبحرية، مما أسهم في توسع العالم الإسلامي إلى تلك البلاد والشعوب، وانتشار عقيدته وشريعته وقيمه وأخلاقياته فيها، ووصول أعماله وأنشطته وتجارته إلى كافة أقطار ومناطق العالم.

وذكر الدكتور فتحي يكن - حفظه الله - هذه الخصيصة، فقال: «وتتضح أهمية هذه الإمكانات الهائلة والطاقات المتوفرة في العالم الإسلامي،

(١) انظر حديث الدكتور زغلول النجار، عن هذه الآية الكريمة.

خاصة من هذا الموقع الفريد الذي يحتله في قلب العالم، إذ يربط بين القارات القديمة الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا بطرق المواصلات البحرية والجوية مع قارات العالم الجديد، فيكاد لا يوجد خط بحري أو جوي في العالم إلا ويمر في العالم الإسلامي، فهو ملتقى طرق العالم وتجارته، وانتقالات مواد الطاقة كالبترول والمواد الخام التي هي عصب الصناعات الحديثة في الدول المتقدمة، وهذه الأهمية القصوى لهذا العالم من حيث الموقع والطرق ووفرة الخامات، هي التي جعلته مطمع الدول الكبرى ومجال صراعاتها وهدف سيطرتها، والتي نأمل أن نكون قد وصلنا من القوة والسوعي والإدراك ما يجعلنا نضع حدا لكل تلك المطامع»^(١).

المطلب الرابع: الثروات الكامنة:

أودع الله تعالى نعمه في هذه الأرض المسخرة للإنسان، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ سورة إبراهيم عليه السلام، الآيات ٣٢-٣٤.

وخص الله تعالى البلاد الإسلامية بأعظم النعم التي أودعها في خلقه ظاهرا وباطنا، فجعل فيها من التنوع في الثروات، والتعدد في الأصناف، والكثرة في الأعداد، ما يؤهلها لأن تكون لها السيادة على العالم أجمع، قال

(١) الشبكة الدعوية، (<http://www.daawa-info.net/books>)، كتاب العالم الإسلامي

والمكاند الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، الفصل الأول: لمحة

عن العالم الإسلامي، (مقدراته وثرواته وسكانه).

الدكتور فتحي يكن - حفظه الله -: «يملك العالم الإسلامي إمكانات ضخمة من عناصر القوى الاقتصادية، وهي الثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية وخامات الصناعة، بالإضافة إلى الأيدي العاملة، ثم فصل قائلًا:

يملك العالم الإسلامي نحو ٣٧٥ مليون رأس من الأبقار والأغنام والماشية، ولكن الإمكانات متوفرة، ورغم عدم الاستغلال الكامل، فالعالم الإسلامي ينتج حالياً: ١٥٪ من الإنتاج العالمي للقمح والأرز، و ١٠٪ من إنتاج السكر، و ٩٩٪ من إنتاج التمر، كما يتفوق في إنتاج الكاكاو، فينتج منه ٤٨٪، ونخيل الزيت ٨٠٪، وجوز الهند ٣٥٪، والزيتون ٣٠٪، والقطن ٤٣٪، والجوت ٧٥٪، والمطاط ٨٠٪، وهو إنتاج ضخم قياساً إلى وسائل الإنتاج المتخلفة، ويحتل العالم الإسلامي بذلك المرتبة الأولى في العالم في إنتاج القطن والكاكاو والمطاط والتمر، والمركز الثاني في إنتاج القمح والزيتون، والمركز الثالث في إنتاج قصب السكر وعدد من الغلات الأخرى. أما من حيث الثروات المعدنية فنصيب العالم الإسلامي منها وفير جداً، ويحتل المرتبة الأولى بلا منازع في عدد منها، مثل النفط ٦٪، والقصدير ٦٪، والكروم ٤٠٪، والمنجنيز والفوسفات ٢٥٪، وبوكسيت الألومنيوم ٢٣٪، وهذا من حيث النسبة إلى الإنتاج الإجمالي في العالم، ولكن له المرتبة الأولى بين المجموعات المنتجة مع الأخذ بعين الاعتبار أن الثروات المعدنية لم تستغل بعد في العديد من الدول الإسلامية. وهذه الثروات المعدنية تضع بين أيدي العالم الإسلامي إمكانات هائلة لاستخدامها في صناعات حديثة بدلاً من (تصديرها خام)، وهذا يتطلب إقامة قاعدة صناعية تكنولوجية، وهي في الطريق الآن إلى أن تأخذ مكانها»^(١).

(١) كتاب العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، مرجع سابق.

المطلب الخامس: المساحات الكبيرة والمتنوعة:

اتسعت رقعة البلاد الإسلامية على امتداد الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، كما اتسعت رقعة المسلمين بوجود جاليات كثيرة في بلاد غير المسلمين يسمون بالجاليات أو الأقليات، وإذا نظرنا إلى أعدادهم في بعض الدول نجدها قد تجاوزت أعداد المسلمين في بعض الدول الإسلامية، ومن هنا فإن مصطلح الأقلية أو الجالية مصطلح نسبي، بل أصبح كثير من المسلمين في تلك البلاد من المواطنين الأصليين.

وقد قامت منظمة مؤتمر العالم الإسلامي التي تجمع الدول ذات الأغلبية الإسلامية في هذا العالم، وهي: «منظمة دولية ذات عضوية دائمة في الأمم المتحدة، الدول السبع والخمسون هي دول ذات غالبية مسلمة، من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وغربها وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية، (باستثناء ألبانيا وغويانا وسورينام).

تأسست المنظمة في الرباط، المملكة المغربية، في ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م، حيث عقد الاجتماع الأول لزعماء العالم الإسلامي عقب أكثر من شهر من حريق الأقصى ٢١ أغسطس ١٩٦٩م. حيث طرح وقتها مبادئ الدفاع عن شرف وكرامة المسلمين المتمثلة في القدس وقبة الصخرة، وذلك كمحاولة لإيجاد قاسم مشترك بين جميع فئات المسلمين. بعد ستة أشهر من الاجتماع الأول، مارس ١٩٧٠م، تبنى المؤتمر الإسلامي الأول لوزارة الخارجية، في جدة، إنشاء سكرتارية عامة للمنظمة، لضمان الاتصال بين الدول الأعضاء وتنسيق عملهم. وتم وقتها تعيين أمين عام، واختيرت جدة كمقر مؤقت للمنظمة، بانتظار تحرير القدس، حيث سيكون المقر الدائم»^(١).

(١) موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة

وقال الدكتور فتحي يكن - حفظه الله -: «ومساحة اليابس التي يسيطرون عليها - أي المسلمون - تبلغ ربع الكرة الأرضية، وهذا يبين مدى الإمكانيات الكامنة في حوزة هذه القوى الإسلامية، وخطورة وضرورة استغلالها والاستفادة بها، ولاتساع وتنوع المناطق التي يشملها العالم الإسلامي، فإن الأراضي الزراعية به عظيمة الامتداد والخصوبة، وفي عدة مناطق مناخية مختلفة، مما يجعل المحاصيل متنوعة ووفيرة، ولكن حتى الآن لا زال مردود الزراعة في العالم الإسلامي منخفضاً، بالقياس إلى ما يتوفر من إمكانيات، لعدم الوصول إلى العناية الكافية والاستخدام الآلي الحديث»^(١).

إلى غير ذلك من مصادر القوة الكونية التي سخرها الله تعالى للناس عامة وللمسلمين والبلاد الإسلامية خاصة...

• المبحث الثاني: المصادر الدينية^(٢) لقوة الأمة الإسلامية:

ختم الله تعالى رسالاته إلى خلقه برسالة الإسلام، واصطفى لها خير رسول الهدى والسلام، واختار لها الكتاب الكريم هدى ورحمة للأمم، فكان دينها دين الإسلام، وهو دين الأنبياء والرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ

(١) كتاب العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، مرجع سابق.

(٢) انظر بحث معالم النهوض بالخطاب الإسلامي، للمؤلف، الندوة العلمية: الخطاب الديني الواقع وآفاق المستقبل، طرابلس، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، طباعة الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، ص ٤٤١، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» [سورة الشورى، الآية: ١٣]، جاء في تفسير الخازن: «قال علي بن أبي طالب ؓ: الإيمان بعث آدم عليه السلام؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان بما جاء من عند الله، ولكل قوم شريعة ومنهاج»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّتْ^(٢)، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(٣).

ونظرا لما أراده الله تعالى لدين الإسلام وحامله من خلود وخيرية وشهود، فقد خصه بخصائص عظيمة، ومحاسن كثيرة، جعلت منه سندا لحامله، وعونا لمتبعيه في تحقيق الشهود الحضاري على الناس.

وقد أسهبت كثير من الكتب الفكرية والدعوية في حديثها عن خصائص الدين الإسلامي ومحاسنه، وعن قيمه ومبادئه، وتنوعت في طرق عرضها وبيانها، ومن هنا رأيت أن أدرج تلك المقومات جميعا تحت عنوان مصادر القوة في الدين الإسلامي، ولك من خلال التعريف بمبادئ الدين الإسلامي وقيمته العظيمة، ومقاصده العامة، وخصائصه ومحاسنه الجليلة، مجتهدا في توضيح مفهوم كل من المبادئ والقيم والمقاصد، والخصائص والمحاسن، معرفا بمصطلحاتها، وشارحا لمفاهيمها، ومبينا لما يمكن أن يندرج من

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٤٦٤.

(٢) لعلات: الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد، أراد أن إيمانهم واحد، وشرائعهم

مختلفة، مادة: علل، النهاية في غريب الحديث، ج ٣، ص ٢٩١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٨٧.

مفردات في إطارها. وجاء هذا المبحث في خمسة مطالب، وهي: المبادئ الإسلامية العامة. والقيم الإسلامية السامية. والمقاصد الإسلامية العامة. وخصائص الإسلام العامة ومحاسنه. والوعود والدوافع الربانية.

المطلب الأول: المبادئ الإسلامية العامة:

المبادئ الإسلامية هي المكونات الأولى والمقدمات الجامعة للدين كله، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، فـ«المبدأ: مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها، كالنواة مبدأ النخل، أو يتركب منها، كالحروف مبدأ الكلام، (ج) مبادئ، ومبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون: قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها، مج»^(١).

قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: «الإسلام عقيدة جوهرها التوحيد، وعبادة جوهرها الإخلاص، ومعاملة جوهرها الصدق، وخلق جوهره الرحمة، وتشريع جوهره العدل، وعمل جوهره الإتيان، وأدب جوهره الذوق، وعلاقة جوهرها الأخوة، وحضارة جوهرها التوازن»^(٢).

وقد جمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مبادئ الدين وقواعده العامة^(٣)، فيما رواه عنه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٨٨.

(٢) الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، ص ١٥، دار

الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

(٣) أشار الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - إلى مبادئ الإسلام بعرضه لما جاء في الحديث المذكور فبين أركان الإيمان والإسلام ثم الإحسان، وبعدها خص الكتاب بشرح أركان الإيمان، وكأنه يخص بالمبادئ الإسلامية أركان الإيمان، تعريف عام بدين إسلامي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ، عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا^(١)، وَأَنْ تَرَى الْخِفَاءَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ^(٢) رِعَاءَ الشَّاءِ يَنْطَاولُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلِقْ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنْ

(١) قال النووي رحمه الله: «قَالَ الْأَكْثَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ كَثْرَةِ السَّرَارِيِّ وَأَوْلَادِهِمْ؛ فَإِنَّ وَلَدَهَا مِنْ سَيِّدِهَا بِمَنْزِلَةِ سَيِّدِهَا...»، شرح النووي على مسلم، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ج ١، ص ٧٠.

(٢) قال النووي - رحمه الله - : «أُمَّا (الْعَالَةُ) فَهِيَ الْفَقْرَاءُ، وَالْعَائِلُ الْفَقِيرُ، وَالْعَيْلَةُ الْفَقْرُ، وَعَالَ الرَّجُلُ يَعِيلُ عَيْلَةً أَيْ افْتَقَرَ. وَالرَّعَاءُ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَبِالْمَدِّ، وَيُقَالُ فِيهِمْ (رُعَاة) بِضَمِّ الرَّاءِ وَزِيَادَةِ هَاءِ بِلَا مَدٍّ وَمَعْنَاهُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ وَأَشْبَاهُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ تَبْسُطُ لَهُمُ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَبَاهَوْنَ فِي الْبُنْيَانِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»، شرح النووي على مسلم، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ج ١، ص ٧٠.

السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ^(١).

وعن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائِرُ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلَا يَقْفُهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَى غَيْرِهَا؟ قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ هَلْ عَلَى غَيْرِهَا؟ قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَى غَيْرِهَا، قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أُرِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»^(٢).

فَعَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ قَائِمَةٌ عَلَى أُسَاسِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، مَرْتَكِزَةٌ عَلَى رَكِيزَةِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ^(٣)، فَلَيْسَتْ أَوْهَامًا يَعْتَقِدُهَا الْإِنْسَانُ، أَوْ طَلَّاسِمٌ يَسْلَمُ لَهَا، وَلَيْسَتْ أَحْكَامًا عَقْلِيَّةً مَجْرَدَةً بَعِيدَةً عَنِ الْعَوَاطِفِ وَالْمَشَاعِرِ، وَإِنَّمَا هِيَ عَقِيدَةٌ وَاضِحَةٌ مُتَوَازِنَةٌ، تَدْخُلُ الطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الْقَلْبِ، وَالْقَنَاعَةُ إِلَى الْعَقْلِ، كَمَا أَنَّهَا بَتَعَدُّ جَوَانِبَهَا وَأَرْكَانَهَا تَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ دَائِمَ الْإِرْتِبَاطِ بِخَالِقِهِ، مُتَوَازِنَ التَّعْلُقِ بَيْنَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، مُرَاقِبًا لِرَبِّهِ وَمُعَدًّا نَفْسَهُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَمُسَخَّرًا نَفْسَهُ لَتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، أَخْذًا بِالْأَسْبَابِ، وَمُعْتَبِرًا لِلْمُسَبِّبَاتِ، مَعَ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ، وَتَأْمَلِهِ الْفَوْزَ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، حَدِيثُ رَقْمِ ٩.

(٢) صحيح البخاري، باب الزكاة من الإسلام، حديث رقم ٤٤.

(٣) انظر: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، لمحمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة.

بمروضاته، والتتعم بجناته، فعقيدة المسلم قوة هادية، وقوة حافزة، وقوة ضابطة، ومصدر للسكينة^(١).

والشريعة الإسلامية بعبادتها ومعاملاتها الفردية والجماعية، تحقق في المؤمنين سموا روحيا، وتركية ذاتية، وتربية سلوكية، فتجب إليهم التسابق في الخيرات والمكرمات، وتطهرهم من النقائص والردائل والموبقات، وتعينهم على التوازن في إحسان العلاقات، وتحثهم على الإنصاف في الحصول على الحقوق وأداء الواجبات، مما يعينهم على تحقيق الأخوة والائتلاف، وتعزيز الوحدة والاجتماع^(٢).

وهذه المبادئ الموضوعية للدين الإسلامي تبدوا مظاهرها جلية في مبادئ الإسلام من حيث العلاقات البشرية مع الله ومع النفس ومع الآخرين^(٣)، فالشريعة الإسلامية بعبادتها ومعاملاتها الفردية والجماعية، تحقق في المؤمنين سموا روحيا، وتركية ذاتية، وتربية سلوكية، فتحبب إليهم التسابق في الخيرات والمكرمات، وتطهرهم من النقائص والردائل والموبقات، وتعينهم على التوازن في إحسان العلاقات، وتحثهم على الإنصاف في الحصول على الحقوق وأداء الواجبات، مما يعينهم على تحقيق الأخوة والائتلاف، وتعزيز الوحدة والاجتماع.

-
- (١) انظر الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، ص ١٨-٢٠.
 (٢) انظر بصائر دعوية، لمحمد أبو الفتوح البيانوني، بصائر في جانب العقيدة، ص ١١-١٨، وبصائر في جانب العبادة، ١٩-٣٨، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
 (٣) انظر المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتوح البيانوني، ص ١٨٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

والأخلاق الإسلامية^(١) تحقق لأفرادها الرقي والسمو في حياتهم الروحية والمادية، فتؤثر في فكرهم، وتبرز في سلوكهم فيما بينهم ومع غيرهم، وتجعلهم دائماً يسировون نحو الفضائل ويبتعدون عن الرذائل، فتزكي نفوسهم، وتطهر سلوكهم، وترفع قدرهم.

وقد خص الله تعالى دين الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه بالتناسق الجميل، فإن كانت العقيدة دافعاً للتمسك بالشريعة والحرث على مكارم الأخلاق، والشريعة مزكية للسلوك والأخلاق، فإن الشريعة ومكارم الأخلاق تعزز العقيدة وتقويها، فيستمر التدافع الإيجابي في نفس المسلم، بين روافد الخير ودواعيه، مما يزيد المؤمن رقياً روحياً، ووعياً عقلياً، ورشداً في القول والعمل، قال جل شأنه: ﴿... تُوْر عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية ٣٥].

المطلب الثاني: القيم الإسلامية السامية:

القيم الإسلامية هي الأمور التي رعاها الإسلام في عقيدته وأحكامه وتشريعاته، لما لها من قيمة عظيمة خصها بها، ولما لها من اثر في كمال الإسلام وحسن قوامه، فقد جاء في لسان العرب: «ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات... وأقام الشيء أدامه...، ويقال هذا قوام الأمر وملاكه الذي يقوم به...، وقوم السلعة واستقامها قدرها...، والقيمة واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم...، وقوام

(١) انظر: خلق المسلم، لمحمد الغزالي، طبعة نهضة مصر، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٥م، وانظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم،

العيش عماده الذي يقوم به وقوامُ الجسمِ تمامه وقوام كل شيء ما استقام به...»^(١).

وجاء في المعجم الوسيط: «القيم والمقومات: مشتقة من قوم، القوام: الحسن القامة والحسن القيام بالأمر، القويم: المعتدل والحسن القامة (ج) قوام، القيمة: قيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه، ومن الإنسان طوله، (ج) قيم، ويقال ما لفلان قيمة: ماله ثبات ودوام على الأمر...، وكتاب قيم ذو قيمة (مج)»^(٢).

وقد نظر الإسلام إلى القيم نظرة إيجابية مثلى، جعلت منها منظومة متكاملة، معتبرة في التشريع والسلوك والأخلاق، فاجتمعت في الإسلام جميع تلك القيم حتى أضحت مصدرا من مصادر كماله وقوته، وحسن قوامه، ورافدا من روافد عظمته وجلاله، ومن ابرز هذه القيم:

١ - الإنسان: كرم الله تعالى الإنسان على مختلف أجناسه وفئاته وألوانه ولغاته ودياناته ومذاهبه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٠]، وعن سهل بن حنيف وقيس بن سعد رضي الله عنهما قالا: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»^(٣).

بل إن الشريعة الإسلامية جعلت من مقاصدها حفظ الإنسان وما يتصل

(١) لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٩٧-٥٠٤.

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٦٨.

(٣) صحيح البخاري، باب من قام لجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، حديث رقم ١٢٥٠.

به من دين ونفس وعقل ومال وعرض، قال الإمام الغزالي - رحمه الله - :
«ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم
وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو
مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة...»^(١).

٢- الدين: جعل الله تعالى الدين منهجا للإنسان، يبصره بحقيقته
ووظائفه في حياته، ويهديه سبيل الرشاد لما فيه سعادته في دنياه وآخرته،
وقد بين سبحانه وتعالى الفرق بين حياة الإنسان في هذه الدنيا وهو على هدى
من ربه وبين من يتخبط في دنياه ويهيم على وجهه وكأنه أعمى، فقال
سبحانه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُتِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾
[سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الآية: ١٤]، وقال أيضا: ﴿قَالَ
اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾
[سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤].

ومن مقاصد الشريعة المحافظة على الدين لأنه ضرورة من الضرورات
الإنسانية، بل توسع الإسلام فحفظ لكل إنسان حقه في التدين، فقال جل شأنه:
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦].
وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) المستصفي من علم الأصول، للإمام الغزالي - رحمه الله -، وبذيله فواتح الرحموت
للعلامة عبد العلي الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للمحقق محب الله
بن عبد الشكور، دار صادر، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى،
١٣٢٢هـ، ج ١، ص ٢٨٦-٢٩٠.

إِذَا بَعَثَ جَبُوشَةُ قَالَ: «اخرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْدِرُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تُمَتِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ»^(١).

ومن هنا نتبين أن للتدين حرمة واحترامه، وأنه من القيم التي حفظها الإسلام للناس، سواء كان التدين حقا أم باطلا، فمع أن الدين الحق عند الله تعالى الإسلام، فقد حفظ الله تعالى للناس حق التدين في الحياة الدنيا بما شاؤوا، بعد أن بين لهم الحق وأظهره لهم، قال جل شأنه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٩].

٣- الحياة: جعل الإسلام للحياة الإنسانية قيمة عظمى، فشرع لحفظها أحكاما، وسن لدرء الهلاك عنها حدودا، ونسب سبحانه وتعالى الروح إلى نفسه فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [سورة الحجر، الآيتان: ٢٩-٣٠]، كما جعل تعالى إحياء النفس الواحدة إحياء للناس جميعا، وإهلاكها إهلاكا للناس جميعا فقال جل وعلا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي

(١) مسند الإمام أحمد، باب بداية مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، حديث رقم

٢٥٩٢، قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، إلا أنه قال فيه: ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا شيخا، وفي رجاله: البزار إبراهيم بن إسماعيل بن أبي خبيبة، وثقة أحمد، وضعفه الجمهور، وبقيّة رجال البزار رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٣١٦-٣١٧.

الْأَرْضِ فَكَأْتَهَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأْتَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ مِنْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿[سورة المائدة، الآية: ٣٢]﴾، فمن حق كل إنسان أن يعيش حياته التي أمانة الله تعالى عليها، ونفخها فيه من روحه.

وقد أنكر الله تعالى على من تعدى على النفس البريئة، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكويد، الآيتان: ٨-٩]، كما أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يحدث الناس بما حرم عليهم ربهم، ومن جملة ذلك قتل النفس المحرمة، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ^(١)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي مِنَ النَّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا

(١) صحيح البخاري، باب بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...﴾

(سورة النساء، الآية: ١٠)، حديث رقم ٢٥٦٠.

نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِي، وَلَا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَا نَنْتَهَبَ، وَلَا نَعْصِي بِالْجَنَّةِ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ»^(١).

وتوسع الإسلام في رعاية قيمة الحياة حتى بالنسبة للمخلوقات الأخرى، كالحيوانات والنباتات، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَرِصَتْ نَمَلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْنَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرِصَتْكَ نَمَلَةٌ أُحْرِقَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ»^(٢)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَأَقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ»^(٣).

٤- العلم: رعى الإسلام قيمة العلم رعاية متميزة، إذ جعل وسيلته من تفكر وتأمل وتعقل محلاً لتكريم الجنس البشري على سائر الأمم والمخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٠]، قال النسفي - رحمه الله - في هذا التكريم: «بالعقل والنطق والخط

(١) صحيح البخاري، باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٣٦٠٤.

(٢) صحيح البخاري، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، حديث رقم ٢٧٩٦.

(٣) سنن أبي داود، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره، حديث رقم ٢٤٦٢، وسكت عنه.

والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي...»^(١).

كما جعل الإسلام من العلم طريقاً إلى الهداية والرشاد، فكم من آيات في كتاب الله تعالى وأحاديث في سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحت الإنسان على التأمل والتفكر والنظر، وتقديم العلم على العمل، قال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [سورة محمد ﷺ، الآية: ١٩]، وقال أيضاً: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨].

والعلم صفة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة التحريم، الآية: ٣].

وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة امتدحت العلم والعلماء ورفعت من مقامهم، وأعلنت من شأنهم، قال تعالى: ﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١١]، وعن أبي أمامة الباهليؓ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَّلْتُ عَلَى أَدْنَاكُمْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات

النسفي، ج ٢، ص ٢١١.

صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١).

٥- العمل: نظر الإسلام إلى العمل نظرة تقدير واحترام، وجعل منه قيمة من القيم العليا التي رعاها في البشرية جمعاء، لما يثمره العمل من عمارة لهذه الأرض، فوجه إليه وربطه بالإيمان، فكم من آية في كتاب الله تعالى جمعت بين الإيمان والعمل الصالح، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٣٠].

كما حث الإسلام الناس على العمل وتحمل المسؤولية فيه، فقال سبحانه: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٥]، وعن المقدام رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ»^(٢).

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اْعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ

(١) سنن الترمذي، باب العلم، كتاب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم

٢٦٠٩، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

(٢) صحيح البخاري، باب كسر الرجل وعمله بيده، حديث رقم ١٩٣٠.

أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى...﴾ [سورة الليل، الآيتان: ٥-٦] ^(١).

وقد عد الدكتور عبد الحليم عويس - حفظه الله - الربط والتوازن بين العمل الذهني واليدوي خصيصة من خصائص الحضارة الإسلامية، فقال: «ومن الجدير بالذكر أن من الخصائص الكبرى التي تميزت بها الحضارة الإسلامية أنها وازنت بين العمل الذهني والعمل اليدوي، على نحو باعد بين موقفها هذا وبين موقف حضارة اليونان، فعلى حين قدست حضارة اليونان العمل الذهني، واحتقرت العمل اليدوي، الذي قصرته على الرقيق شأن العرب على جاهليتهم، نجد الحضارة الإسلامية توازن بين العمل الذهني والعمل اليدوي حتى لتكاد تمزج بينهما مزجا شبه تام» ^(٢).

إلى غير ذلك من قيم كالتعارف والشرافة، والأخوة والاجتماع، والشورى، والتعاون، والحرية، والعدل، والتنافس والتسابق في الخيرات، والمحبة، والوقت، والمال، والقوة، والجمال، والنظافة والطهارة، والإبداع والإتقان والإحسان، والقدرة والمثال المتبع، وغيرها...

المطلب الثالث: المقاصد الإسلامية العامة:

المقاصد الإسلامية هي غايات الشارع الحكيم وتوجهاته في الخلق والتشريع، فقد جاء في لسان العرب: «وَالْقَصْدُ الْإِعْتِمَادُ وَالْأَمُّ، قَدْ يَفْصِدُهُ

(١) صحيح البخاري، باب فسنيسره للعسرى، حديث رقم ٤٥٦٨.

(٢) النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة، للدكتور عبد الحليم عويس،

ص ٣٠، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ٢٧، دار الوفاء، الطبعة الأولى،

١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

قَصْدًا وَقَصَدَ لَهُ وَأَقْصَدَنِي إِلَيْهِ الْأَمْرُ، وَهُوَ قَصَدُكَ وَقَصَدُكَ أَيُّ تَجَاهَكَ، وَكَوْنَهُ اسْمًا أَكْثَرَ فِي كَلَامِهِمْ، وَالْقَصْدُ إِيْتَانُ الشَّيْءِ...، قَالَ ابْنُ جَنِي أَصْلُ «ق ص د» وَمَوَاقِعُهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْإِعْتِزَامُ وَالتَّوَجُّهُ وَالنَّهْوضُ وَالنَّهْوضُ نَحْوَ الشَّيْءِ، عَلَى اعْتِدَالِ كَانَ ذَلِكَ أَوْ جُورَ، هَذَا أَصْلُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَخْصُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ بِقَصْدِ الْإِسْتِقَامَةِ دُونَ الْمِيلِ»^(١)، وَجَاءَ فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ: «الْمَقْصِدُ مَوْضِعُ الْقَصْدِ، الْمَقْصَدُ يُقَالُ إِلَيْهِ مَقْصِدِي وَجْهَتِي»^(٢).

فالمراد بالمقاصد هنا: غاية الشارع الحكيم من الخلق والتشريع، وهي: المحافظة على الإنسان وتحقيق عبوديته لربه تعالى لينال السعادة في الدارين.

قال الإمام الغزالي - رحمه الله -: «لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة، وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح... الرتبة الثانية: ما يقع في رتبة الحاجات من المصالح والمناسبات... الرتبة الثالثة: ما لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة، ولكن يقع موقع التحسين والتزيين والتيسير للمزايا والمزائد ورعاية أحسن المناهج في

(١) لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥٣-٣٥٥.

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٣٨.

العوادات والمعاملات...»^(١)، وكر أمثلة لكل رتبة من رتب المقاصد الشرعية.

وقد وسع الأستاذ عبد الله ولد عثمان دلالات المقاصد اللغوية، ثم أورد مضاميناً موسعة لمفهوم المقاصد، ثم قال «من خلال هذا التحليل يتبين لنا أن دلالة نظرية المقاصد يصعب حصرها في بعد واحد لاحتوائها على قابلية عجيبة للفهم المتعدد، لهذا وصل في الأخير إلى القول» وعلى الجملة فإن الفعل «قصد» قد يكون بمعنى «حصل فائدة» أو «حصل نية» أو بمعنى «حصل الغرض»، فيشمل «علم المقاصد» إذ ذاك على ثلاث نظريات أصولية متميزة فيما بينها، أولها نظرية المقصودات، وهي تبحث في المضامين الدلالية للخطاب الشرعي، الثانية نظرية القصد، وهي تبحث في مضامين الشعورية أو الإرادية، والثالثة نظرية المقاصد، وهي تبحث في المفاهيم القيمية للخطاب الشرعي»^(٢).

وبهذا يمتد الطريق إلى عرض رؤية إسلامية شاملة لعلاقة المقاصد بالقيم الإسلامية، فقد بدا للباحث في هذه الدراسة مدى الترابط بين القيم الإسلامية والمقاصد الأصولية، إذ إن القيم الإسلامية العامة تمثل أرضية

(١) المستصفي من علم الأصول، للإمام الغزالي - رحمه الله -، وبذيله فواتح الرحموت للعلامة عبد العلي الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه لمحقق محب الله بن عبد الشكور، ج ١، ص ٢٨٦-٢٩٠، دار صادر، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد، لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب،

واسعة للمعتبرات الحياتية في الرسالة الخاتمة، سواء كان ذلك في عقيدتها أو شريعتها أو الأخلاق والمثل المعتبرة فيها، لتبرز للناس جميعا استيعابها لمجالات الخير في الحياة، على اختلاف مجالاتها، وتباين رتبها، ومن ثم تأتي الدراسات الأصولية المقاصدية، لتصنف القيم من حيث تأثيرها وتأثرها مع الأحكام الشرعية من جهة، ومع المكلف بها من جهة أخرى، لتجعل من هذه القيم مقاصد ضرورية، أو حاجية أو تحسينية، وذلك بحسب مقاديرها الاعتبارية في التشريع الإسلامي، لتنظم هذه القيم في المعايير التشريعية، ولتتضح طبيعة العلاقات النسبية بينها تأثيرا وتأثرا.

ومما يشير إلى ما توجهت إليه في هذه الدراسة؛ ما ذكره الخادمي عند حديثه عن أنواع المقاصد وحيثيات تقسيماتها، حيث قال: «والمقاصد باعتبار تعلقها بعموم الأمة وخصوصها، تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- المقاصد العامة: وهي التي تلاحظ في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها، بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرى.

ب- المقاصد الخاصة: وهي التي تتعلق بباب معين أو أبواب معينة من أبواب المعاملات، وقد ذكر ابن عاشور أن هذه المقاصد هي: مقاصد خاصة بالعائلة.. بالتصرفات المالية.. بالمعاملات المنعقدة على الأبدان كالعمل والعمال.. بالقضاء والشهادة.. بالتبرعات.. بالعقوبات..

ج- المقاصد الجزئية: وهي علل الأحكام وحكمها وأسرارها»^(١).

وبهذا يمكن فهو عبارة ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : «فإن الشريعة

(١) الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، ج ١، ص ٥٤، سلسلة كتاب الأمة، وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد ٦٥، جمادي الأولى ١٤١٩هـ، السنة الثامنة

عشرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

مبناها وأساسها على الحكم مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمه كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم الدلالة وأصدقها، وهي نور الله الذي أبصر به المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشقاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل...»^(١).

وقال الدكتور محمد عمارة - حفظه الله -: «إننا إذا تأملنا المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، كما استنبطها وحددها الأصوليون، وإذا أعطاها عقلنا المعاصر أبعادها الحقيقية، وهي أبعاد مفتوحة الأبواب والميادين أمام الاجتهاد الإسلامي، فسنجد أنفسنا أمام منظومة جامعة لأركان ومقومات وضرورات الاجتماع الإنساني، تلك التي بدونها لا يستقيم العمران البشري على صراط الفطرة الإنسانية السوية»^(٢)، ثم ذكر دلالات المقاصد الضرورية ومضامينها القيمية...

ووفقا لهذه الرؤية الشاملة يمكن وضع مقادير وأنصبة معاييرية للأعمال، تضبط درجتها ورتبتها في ميزان القيم والمقاصد، وتجعل منها قانونا عمليا يمكن من خلاله التقييم والترتيب، وهذا ما أشار إليه الأستاذ عبد

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ٣، ص ٣.

(٢) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، لمحمد عمارة، ص ٢٠-٢١، نهضة مصر، الطبعة: ٢، ٢٠٠٤.

الله ولد عثمان، بقوله: «عمد الشاطبي إلى بيان أن المقاصد في حد ذاتها تنقسم إلى ضرورية وحاجية وتحسينية، وهذا بطبيعة الحال يعكس النظام القيمي الذي على أساسه تتوزع وتترتب عملية تحقق المقاصد في أبعادها الشرعية والاجتماعية. ولذلك وضع خمس قواعد أساسية؛ هي: القاعدة الأولى: أن الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتكميلي. القاعدة الثانية: أن اختلال الضروري يلزم منه اختلال الباقيين بإطلاق. القاعدة الثالثة: أنه لا يلزم من اختلال الباقيين اختلال الضروري. القاعدة الرابعة: أنه قد يلزم لاختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي اختلال الضروري بوجه ما. القاعدة الخامسة: أنه ينبغي المحافظة على الحاجي والتحسيني للضروري»^(١).

ولتوضيح هذه الرؤية يقول الدكتور فهمي علوان: «فكرة المقاصد بالإضافة إلى أنها أكملت شطر العلم، فإن الفضل يرجع لها في إبراز الجانب الأخلاقي لعلم أصول الفقه، فما هو قانوني من وجهة نظر علماء أصول الفقه جعلته هي أخلاقيا فقد جمعت مجموعة مثالية من القواعد التي يتعين على الأفراد الامتثال لها حتى ولو تعارضت مع رغباتهم ونزواتهم الفردية، وتقترن القاعدة الأخلاقية بالنية الطيبة التي تسبق الفعل أو تصحبه، أو تعقبه، وهي ترفض التحيل الذي يتعارض مع القواعد الأخلاقية، والقيم الأساسية، كما تقترن القواعد الأخلاقية بجزاء يتمثل في الجزاء القانوني والجزاء الديني كما لا يخلو من الجزاء الاجتماعي لأن عدم احترام القواعد الأخلاقية فيه

(١) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد،

لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب،

= <http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid>
.591

فساد لحالة المجتمع وفيه فوت حياة، وتستمد القاعدة الخلقية قوتها من اعتبارات متعددة، منها الاعتبارات الدينية، والاعتبارات الاجتماعية، والاعتبارات الاقتصادية، والاعتبارات الإنسانية، وهذه هي القيم الأساسية التي تمثل المصلحة المرسلّة. واستمرار السلوك في المجتمع بدافع المحافظة على هذه القيم يخلق إقناعاً جماعياً بواجب احترام القواعد الأخلاقية^(١)، ثم أشار إلى الأثر النهضوي للتشريع الإسلامي في ربطه القيم الأخلاقية باعتباراتها القانونية كبعد من الأبعاد الدينية العامة المنبثقة عن العقيدة والشرعية الإسلامية.

ويؤكد أهمية رعاية المقاصد والمعرفة الكلية في العلوم الإسلامية، ما ذكره الدكتور فهمي محمد علوان، بقوله: «وهكذا بقي علم أصول الفقه فاقداً قسماً عظيماً هو شطر العلم الباحث عن أحد ركنيه^(٢) حتى القرن الثامن الهجري عندما تدارك الشاطبي هذا النقص فحلل المقاصد إلى أربعة أنواع^(٣)،

(١) القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، ص ١٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

(٢) «قواعد تضبط له طريق استعمال العرب في لسانها، وأخرى تضبط له مقاصد الشارع في تشريعه للأحكام»، الموافقات، للشاطبي، دراسة وتحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(٣) «ذهب إلى التركيز على تحديد مفهوم المصلحة تحديداً يعبر عن تلك الدقة، حيث يقسمها إلى نوعين: فالأول يعتبر من جهة قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً، ومن جهة قصده في وضعها للأفهام، ومن جهة قصده في وضعها للتكليف بمقتضاها، ومن جهة قصده دخول المكلف تحت حكمها، أما النوع الثاني فيتمثل في مقاصد المكلف التي بينها في «أن الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات، من العبادات والعادات» و «قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقاً لقصده في التشريع». نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد، لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب

<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid>

ثم أخذ يفصل كل نوع منها، وأضاف إليها مقاصد المكلف في التكليف، وبسط هذا الركن في الموافقات، وبين كيف أن الشريعة مبنية على مراعاة المصالح وأنها نظام عام لجميع البشر، دائم أبدي، ولو فرضنا بقاء الدنيا غير نهاية، لأنها مراعى فيها مجرة العوائد المستمرة، وأن اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ترجع كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها، وأن هذه الشريعة خاصتها السماح وشأنها الرفق...»^(١).

وبهذا نتبين عظم مقاصد الشريعة وأهمية دراستها ورعايتها، فما جاءت التشريعات الربانية إلا لتحقيق تلك المقاصد السنية، بالمحافظة على المصالح، ودرء المفسدات، وقد قال العز بن عبد السلام - رحمه الله - في كتابه قواعد الأحكام: «فكل مأمور به ففيه مصلحة الدارين أو إحداهما، وكل منهي عنه ففيه مفسده فيهما أو في إحداهما...»^(٢)، وقال أيضا: «والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفسدات، أو تجلب مصالح...»^(٣).

ونظرا لما يعترض الفقه المقاصدي من تجاذبات تتراوح بين الإفراط والتفريط، فقد وجه الشاطبي - رحمه الله - إلى منهج وسط، وجعل ذلك من تميز الإسلام في تحقيق المقاصد الشرعية، وذلك بصورة متوازنة، فقال: «فإنه قد مر أن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط»^(٤).

(١) القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، ص ٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩ م.

(٢) قواعد الأحكام، ج ١، ص ٥-٧.

(٣) قواعد الأحكام، ج ١، ص ٩.

(٤) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٤، ص ١٤٩.

المطلب الرابع: خصائص الإسلام العامة^(١) ومحاسنه:

خصائص الإسلام هي محاسنه التي تميز بها عن غيره، فقد جاء في لسان العرب: «خصّه بالشيء يَخْصُهُ خَصّاً وَخُصُوصاً وَخُصُوصِيَّةً وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ، وَخِصِّيَصَى وَخِصَّصَهُ وَاخْتَصَّه أَفْرَدَهُ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ»^(٢)، وجاء في المعجم الوسيط: «الخصيصة الصفة التي تميز الشيء وتحدده، (ج) خصائص»^(٣). ويراد بمصطلح خصائص الإسلام: «الصفات المميزة للإسلام عن غيره، أو المزايا التي ينفرد بها الإسلام دون غيره»^(٤).

ومحاسن الإسلام هي مظاهر الجمل في مبادئه وقيمه وأحكامه وتشريعاته، فقد جاء في المعجم الوسيط: «الحسن: الجمال وكل مبهج مرغوب فيه، (ج) محاسن»^(٥).

وبهذا يمكن أن تظهر العلاقة بين القيم والخصائص الإسلامية من جهة، وبين المقاصد والخصائص الإسلامية من جهة أخرى، إذ الخصائص التي تميز بها الإسلام هي جزء من القيم التي رعاها، ونظرا

(١) انظر الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، وانظر أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ص ٤٣-٧٣، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٢) لسان العرب، ج ٧، ص ٢٤.

(٣) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٣٨.

(٤) مجلة القبس، العدد الثاني، ١٩٩٩م، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، بحث محاسن خصائص الإسلام، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ص ٥٥، التركيب للطباعة، طنطا.

(٥) المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٧٤.

لتميزه وريادته في رعايتها فقد خصت هذه القيم بالذكر في مقام الخصائص والميزات...

كما أن الترتيب المقاصدي للقيم، والفقه التشريعي في ضوئها، وحسن التناسق بينها، أثمر عنه رعاية مجموعة من القيم، جعل منها مزايا خاصة، فكان ذلك أيضا بعدا من أبعاد ظهور الرسالة الخاتمة، وخصيصة من خصائصها. وبهذا تكون خصائص الإسلام ومحاسنه الناتجة عن رعاية القيم والمقاصد الإسلامية، جزاء من القيم الإسلامية التي رعاها الإسلام، مع إبرازها لجوانب التميز والخصوصية فيه...

ونظرا لأهمية التبصير بالخصائص والمحاسن العامة في الإسلام بالنسبة لأمة الدعوة وأمة الإجابة، فقد أصبح التعريف بها، والتوضيح والإظهار لها، واجبا دعويا، ومطالباً شرعياً.

ولكثرته تلك الخصائص والمحاسن، فسأقتصر الحديث عند بعضها، بالإشارة والتوضيح، حتى يلتفت إليها انتباه العقلاء، وتتأملها بصائر النبلاء، وتفيد منها مراكب الفضلاء من الدعاة والعلماء، والناس عامة، ومن أبرز تلك الخصائص والمحاسن للدين الإسلامي:

١- ربانية المصدر والغاية والرسالة: فهذه الأمة تستمد عقيدتها وشريعتها وقوانينها من هدي السماء، قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الشورى، الآيتان: ٥٢-٥٣].

كما تتوجه الأمة الإسلامية في عبادتها وطاعتها وحياتها لله رب

العالمين، قال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣].

وتظهر ربانية الأمة الإسلامية أيضا في رسالتها وخلافتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآيتان: ٣٠-٣١].

وهذه الرباني في المصدر والغاية والرسالة تضيء على الدين الإسلامي قدسية في نفوس الناس، فتكون سببا من أسباب الرقابة الذاتية، والرغبة في الطاعة والعبادة، ورافدا من روافد الوازع الديني لدى الأفراد، قال سبحانه: ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن الإحْسَانُ فَقَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »^(١).

٢- الوسطية: فمن أبرز الخصائص والمحاسن في الدين الإسلامي التوازن والاعتدال في التعامل مع الكون والدين والناس والحياة، وذلك لأن الله تعالى خالق الكون والناس، ومشرع الدين والأخلاق، ومدير شؤون

(١) صحيح البخاري: بَاب سُؤَالِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، حديث رقم ٥٠.

الحياة، وهو تعالى أعلم بما خلق، فجاء شرعه منسجماً مع خلقه، وجاءت رسالته محققة للسعادة في الحياة الدنيا والآخرة، دون إفراط أو تفريط، قال جل وعلا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك، الآية: ١٤].

فجاء دين الله تعالى ملاذاً آمناً للناس، تأوي إليه نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، وتسمو به أرواحهم، وتتأمل فيه عقولهم، وتذل له جوارحهم، فإذا جنح الإنسان مفراطاً أو مفرطاً عاد إلى دين الله وشرعه القويم، ليهديه سبيل الرشاد، ويعيده إلى الصراط المستقيم، ومن هنا وصف الله تعالى أمة الإسلام بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣]، فكما جعل الله تعالى البيت الحرام مثابة للناس وأمناً، واختار تلك البقعة المرتكزة في محور الكون شرقه وغربه، وخصها بأن تكون قبلة للمسلمين، فكَذلك جعل المؤمنين الذين اهتدوا بهديه أمة وسطاً، وخصهم بهذه الخصوصية التي تظهر في الدين كله عقيدة وشرعية وسلوكاً وأخلاقاً.

قال البيضاوي رحمه الله:- «{وكذلك}: إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة، أي كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم، أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل، {جعلناكم أمةً وسطاً}: أي خياراً، أو عدولاً، مزكين بالعلم والعمل»^(١).

وقال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله: «وتؤمن المدرسة الوسطية بعالمية الإسلام، وأنه رحمه للعالمين، ودعوة للناس جميعاً، ولهذا لا تشغلها المشكلات المحلية عن البعد العالمي، فهي تؤمن بوحدة الأسرة البشرية، وأنها جميعاً تنتمي من ناحية الخلق إلى رب واحد، ومن ناحية

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد

البيضاوي، ج ١، ص ١٨٠.

النسب إلى أب واحد، وتتبنى التسامح بين الأديان، والحوار بين الحضارات ناهيك بالتقريب بين المذاهب.

ولا غرو أن تؤمن بثقافة عالمية ربانية إنسانية أخلاقية، تدعو إلى الحب لا الكراهية، وإلى التسامح لا التعصب، وإلى الرفق لا العنف، وإلى الحوار لا الصراع، وإلى الحرية لا الإكراه، وإلى التنوع لا الإقصاء، وإلى السلام لا الحرب، وإلى الرحمة لا النقمة، ومما يعينها على ذلك: إيمانها بضرورة التجديد في الدين، والاجتهاد في الفقه، والانفتاح في الفكر، والإبداع في الحضارة، والشمولية في التنمية^(١).

٣- العالمية: من خصائص الدين الإسلامي أنه دين عالمي، ختم الله تعالى به رسالاته لخلق، فجعله للناس كافة، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧]، وقال أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٢٨]، وقال أيضا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نَصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأَحْلَلْتُ لِيَ الْمَغَانِمَ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُنْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(٢).

(١) دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، ليوسف

القرضاوي، ص ١٥٢، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ،

٢٠٠٦م.

(٢) صحيح البخاري، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا، حديث رقم ٣٢٨.

ومن هنا جاءت النداءات الربانية للبشرية جمعاء في مواضع كثيرة من كتاب الله تخاطب بني آدم جميعهم، والناس كافة، بل إن الله تعالى أراد لهذا الدين أن ينتشر في جميع بقاع الأرض، حتى لا يبقى بيت إلا دخله، وقد بشر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك: فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر^(١) ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، يعز بعز الله في الإسلام، ويذل به في الكفر»^(٢).

٤- الكمال: شهد الله تعالى لهذه الأمة بكمال دينها، وجعل ذلك من تمام إنعامه عليها، فقال سبحانه: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣]. وعن طارق بن شهاب قال: «قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم الجمعة...»^(٣).

(١) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه، واحدته مدرة، لسان العرب، ج ٥، ص ١٦٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، کتاب الفتن والملاحم، حدیث رقم ٨٣٢٦، وقال عنه الحاكم: حدیث صحیح علی شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، حدیث رقم ٦٨٤٠.

ومن كمال الدين وتماحه وقداسته تترهه عن النقص والعيب، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٢].

٥- الشمول: تميز دين الإسلام بشموله، قال سبحانه: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٨٩]، وقال أيضا: ﴿... مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف عليه السلام، الآية: ١١١]. فقد شمل الدين الإسلامي جميع مجالات الحياة ونواحيها، سواء منا ما يتعلق بالعقائد والشرائع، أو ما يختص بالكون والإنسان والحياة، أو ما يرتبط بالدار الآخرة، فكان فيه غنى عن كل ما سواه.

يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله - عنه حديثه عن الفهم الشمولي للإسلام: «وإذا كان تيار الوسطية، يرفض الأفهام التي تقوم على تجزئة الإسلام، فإنه يتميز بفهمه الشمولي للإسلام، فهو لا يركز على شعبة من الإسلام دون شعبة، ولا بعد دون بعد، بل يسلط الأضواء عليها جميعا، وبخاصة ما أهمله المسلمون، أو أعطوه دون حقه وحجمه في تعاليم الإسلام، ومن هنا كان الاهتمام بالأبعاد الخمسة أو الشعب الخمس التالية: شعبة تتجه إلى النفس فتصلحها بالتركية، وهذا هو البعد الإيماني، وشعبة تتجه إلى المجتمع فتصلحه بالعدالة، وهذا هو البعد الاجتماعي، وشعبة تتجه إلى الحكم فتصلحه بالشورى، وهذا هو البعد السياسي، وشعبة تتجه إلى النظم فتصلحها بالتشريع، وهذا هو البعد التشريعي، وشعبة تتجه إلى الحياة فتصلحها بالعمارة، وهذا هو البعد الحضاري»^(١).

(١) الصحو الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، للدكتور يوسف القرضاوي،

ص ٦٠، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

وجاء التحذير من أن يتوسع الإنسان بتكلف السؤال عما سكنت عنه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُونَ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ١٠١-١٠٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(١).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^(٢).

٦- التجديد والانبعاث: من خصائص الدين الإسلامي أن الله تعالى أودع فيه ميزة التجدد والانبعاث فكلما ضعفت أمة الإسلام هيا الله تعالى لهذا الدين من يجدده في الحياة، ويبعثه بثوب جديد، يعيد إلى الإسلام عزته ورفعته، وللأمة الإسلامية خيريتها ورشده، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٤].

(١) صحيح البخاري، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٦٨٥٨.

(٢) صحيح البخاري، باب ما يكره من كثرة السؤال، حديث رقم ٦٨٥٩.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١).

إلى غير ذلك من خصائص كبيان دائرة الثوابت الإسلامية ووضوحها، والمزونة والفاعلية، وختمها للرسالات السماوية، والحفظ والخلود، والعصمة، والإعجاز الخالد، ونسخ ما قبلها من الكتب والرسالات، والقدرة على التأسيس والإصلاح والتطوير، وغيرها...

المطلب الخامس: الوعود والنواهج الربانية:

جاءت في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعود وبشارات كثيرة لأتباع دين الإسلام، تسهم في طمأنينة المسلم، وتعزز من همته، وتقوي من عزمه، كيف لا وقد صدرت هذه الوعود عن رب العلمين، وهو القائل عن نفسه جل شأنه: ﴿...وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٢]، بل إن الله تعالى عهد لخلقه على نفسه عهداً بالفضل والإنعام تكرماً منه وفضلاً، ﴿...وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ...﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١١].

وقد جعل الله تعالى البشارة من صفات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأمره أن يبشر عباد الله المؤمنين، فقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

(١) سنن أبي داود، باب ما يذكر في قرن المئة، حديث رقم ٤٢٩١، وقال عنه السخاوي: سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم فإنه أخرجه في مستدركه، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ج ١، ص ٢٠٣، دار الكتاب العربي.

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿[سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٧]، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمر أصحابه بالتبشير، فعن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُتَفَرُّوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»^(١). ومن تلك الوعود والعهود والبشارات:

١ - الوعد بالقوة والتمكين والأمن للمؤمنين: قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَزْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بِسَنَةِ بَعَامَةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْنَتَهُمْ وَإِنْ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ بَعَامَةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْنَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٢)، فعن

(١) صحيح مسلم، باب في الأمر بالتبشير وترك التفتير، حديث رقم ١٧٣٢.

(٢) صحيح مسلم، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم ٢٨٨٩.

تميم الداري رحمه الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر^(١) ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، يعز بعز الله في الإسلام، ويذل به في الكفر»^(٢).

٢- الوعد بالرزق والعطاء للمؤمنين: قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٩٦]، وقال أيضا: ﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٣).

٣- الوعد بالعزة والرفعة والسناء والمجد للمؤمنين: قال تعالى: ﴿... وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون،

(١) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه، واحدته مدرة، لسان العرب، ج ٥، ص ١٦٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، کتاب الفتن والملاحم، حدیث رقم ٨٣٢٦، وقال عنه الحاكم: حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه، قال الذہبی فی التلخیص: علی شرط البخاری ومسلم.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، کتاب الرقاق، حدیث رقم ٧٨٩٤، وقال عنه الحاكم: حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه، وسکت عنه الذہبی فی التلخیص.

الآية: ٨]، وقوله أيضا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٩]، وقوله: ﴿... وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤١].

وعن أبي كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «بشر أمتي بالسناء والرفعة والتمكين في البلاد ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فمن طلب الدنيا بعمل الآخرة لم يكن له في الآخرة من نصيب هذا»^(١).

٤ - الوعد بالنصر والغلبة والعون من الله: قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد ص، الآية: ٧]، وقلا أيضا: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣-١٢٦]، وقال جل شأنه: ﴿... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٤٧]، وقال جل وعلا:

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم ٧٨٩٥، قال عنه الحكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال العجلوني: وروى أحمد وابن حبان والحاكم وصحاحه والبيهقي وابن مردويه عن أبي بن كعب ثم ذكر الحديث، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، ج ١، ص ٤٠٨، دار إحياء التراث العربي.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٨].

وقال أيضا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف، الآيتان: ٨-٩].

وَعَنْ خُبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ - قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْقِرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمَنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِانْتَنِينَ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمْشُطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

٥- الوعد بتجديد الدين الإسلامي بين الناس وإحيائه: تكفل الله تعالى بحفظ رسالة الإسلام كتابا وسنة وأمة، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، الآية ٩]. وحث النبي ﷺ على إحياء سنته وهديه بين الناس، ووعد على ذلك بالفضل الكبير، فعَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبَلَالِ بْنِ الْحَارِثِ: «اعْلَمْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: اعْلَمْ يَا بَلَالُ قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةَ مَنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٣٤٣.

بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِذَعَةٍ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا»^(١).

وكما حفظ الله تعالى الكتاب والسنة هيا من هذه الأمة طائفة تقوم بحمل الدين وتجديده بين الناس، فعن مُعَاوِيَةَ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(٣).

إلى غير ذلك من وعود وعهود وبشارات...

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، حديث رقم ٢٦٠١، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، حديث رقم ١٠٣٧.

(٣) سنن أبي داود، باب ما يذكر في قرن المئة، حديث رقم ٤٢٩١، وقال عنه السخاوي: سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم فإنه أخرجه في مستدركه، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ج ١، ص ٢٠٣، دار الكتاب العربي.

• المبحث الثالث: المصادر البشرية لقوة الأمة الإسلامية:

نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة خاصة، جعلت منه خليفة في الأرض، مؤهلاً لحمل الأمانة، وصالحاً لأداء الرسالة، ومحللاً للتكليف والمسؤولية، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢].

فكان بذلك مستحقاً للتكريم الإلهي على سائر الخلق، حيث خلقه الله تعالى خلقاً سوياً قوياً، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين، الآية: ٤]، وكرمه وفضله على كثير من العالمين تفضيلاً، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٠].

وكان من تكريم الله تعالى وتفضيله للإنسان أن سخر له الكائنات، فبسط له الأرض، وجعلها له ذللاً، وهياً له فيها مأكله ومشربه ومسكنه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [سورة الملك، الآية: ١٥].

كما شرع الله تعالى له الشرائع فأرسل إليه رسلاً مبشرين ومنبرين، وأنزل معهم الكتب فيها هدى ونور، فمن تبعها عاش راشداً مطمئناً، ومن أعرض عنها عاش ضالاً شقيماً، قال جل شأنه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى﴾ [سورة طه، الآيتان: ١٢٣-١٢٤].

فكان الإنسان بما خصه الله تعالى به مؤهلاً للتكليف والحساب، قال سبحانه: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات، الآية: ٢٤]، وعن أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»^(١).

وأشار الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - إلى ارتباط المبادئ والأصول والقيم بالسلوك والممارسة المستمرة من قبل المسلمين، وما يعترضها من صواب وخطأ، وسلامة وقصور، فقال: «والتاريخ الإسلامي سجل لعمل أمتنا بهذا الدين، وعملها له، ورفعها لمناره، وحياطتها له، حتى لا تطفئه الرياح الهوج.. والإسلام دين معصوم الأصول، بيد أن العمل له يتفاوت ويلحقه العثار والعوج...»^(٢).

ومن هنا كان الإنسان المؤمن الذي هدي إلى صراط الله تعالى ودينه القويم، مصدراً من مصادر قوة الأمة الإسلامية^(٣)، التي تتألف من مجموع المسلمين إلى يوم الدين، وجاء هذا المبحث في خمسة مطالب: وهي: كثرة عدد المسلمين، وتنوع الأجناس البشرية والانتماءات الحضارية في إطار الإسلام. ووضوح المهام والمسؤوليات المتنوعة وتحديدها. واجتماع

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٤١٧، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، ص ٥، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، لماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة. وانسجام طبيعة الإنسان المسلم مع شريعة ربه تعالى.

المطلب الأول: كثرة عدد المسلمين:

يعتبر المسلمون في العالم من أكبر النسب العددية، حيث تذكر بعض الدراسات تجاوز عدد المسلمين نسبة الخمس من التعداد العالمي، علماً بأن هذه الدراسات الإحصائية مضى على أكثرها ما يزيد عن عقدين من الزمان. ويذكر الدكتور فتحي يكن - حفظه الله - بعض الإحصاءات المتوفرة حتى عام ١٤٠٠هـ، فيقول: «تقول الإحصاءات المتوفرة حتى عام ١٤٠٠هـ إن العدد الإجمالي لسكان العالم الإسلامي يتراوح ما بين (٨٠٠) إلى (٨٥٠) مليون نسمة، بخلاف الأقليات المتفرقة غير ذات الحجم، والتي تعيش في دول غير إسلامية أو خارج العالم الإسلامي. وتقول الإحصاءات أن نحو (٥٥٠) مليون نسمة، أو ما يزيد عن ثلثي سكان العالم الإسلامي يعيشون في قارة آسيا، وأن عدد الدول الإسلامية المستقلة في قارة آسيا حتى الآن هي ٢١ دولة، بخلاف الجمهوريات الإسلامية الداخلية في اتحاد الجمهوريات السوفياتية.

ويعيش ما بين (٢٥٠ إلى ٣٠٠) مليون نسمة من سكان العالم الإسلامي في أفريقيا، في ٢٧ دولة مستقلة، ويمثل المسلمون نحو ٦٠٪ من سكان أفريقيا كلها. فإذا أضفنا إلى سكان العالم الإسلامي، المسلمين المقيمين متفرقين كأقليات في قارات أوروبا والأمريكتين والمناطق الأخرى، وهي أعداد لا يتوفر الإحصاء الدقيق لها حتى الآن، فإنه يمكن أن تصل القوى البشرية الإسلامية في العالم لنحو ألف مليون مسلم، وهذه القوى تمثل نحو خمس سكان الكرة الأرضية بأكملها...»^(١).

(١) كتاب العالم الإسلامي والمكاند الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، مرجع سابق.

وإذا ما نظرنا إلى توسع نطاق انتشار الإسلام في العصر الحاضر، فإنه يغلب على الظن تجاوز هذه النسبة، وذلك لتوسع وسائل التواصل الحديثة التي أصبحت ثورة من ثورات العصر الحالي، فانتشرت القنوات الفضائية المرئية والمسموعة، والمواقع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية، كما انتشر المسلمون في كل مكان بأعداد كبيرة تسمى بالأقليات أو الجاليات الإسلامية، مما يشير إلى بشارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بقوله: «ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر^(١) ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، يعز بعز الله في الإسلام، ويذل به في الكفر»^(٢).

وقد وجه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المؤمنين إلى الحرص على تكثير أعدادهم، الكثرة المعتبرة كمًّا وكيفًا، وأنذر من زمان يأتي على الناس تكون فيه الأمة في وهن كغناء السيل، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»^(٣)، وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

(١) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه، واحدته مدرة، لسان العرب، ج ٥، ص ١٦٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم ٨٣٢٦، وقال عنه الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحكام، باب تزوجوا الودود الودود، حديث رقم ٢٦٣٥، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة، قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

وسلم: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا: فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

المطلب الثاني: تنوع الأجناس البشرية والانتماءات العنصرية في إطار الإسلام:

من خصائص الدين الإسلامي أنه جاء كافة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٢٨]، كما ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من خصائصه التي ميزه الله تعالى بها عن غيره من الأنبياء والمرسلين عالمية رسالته، فقال: «... وَكَانَ النَّبِيُّ يُنْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(٢).

ومن هنا تنوعت وتعددت أجناس المسلمين الذين انضموا إلى الأمة الإسلامية فالترزموا بالعقيدة الدافعة، والشريعة الهادية، والأخلاق الحاكمة، التي تعينهم على تحقيق الخلافة والعمارة التي كلفهم الله تعالى بها في أرضه، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، لما تقدمه لهم من خير وصلاح، قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠]، قال أبو السعود: «وقيل: بخير أمة أي: كنتم خير الناس للناس، فهو صريح في أن الخيرية بمعنى: النفع للناس، وإن فهم ذلك من الإخراج لهم أيضاً، أي

(١) سنن أبي داود، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم ٣٧٤٥، وسكت عنه.

(٢) صحيح البخاري، باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً، حديث رقم ٣٢٨.

أُخْرِجَتْ لأجلهم ومصلحتهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: معناه كنتم خيرَ الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل، فتدخلونهم في الإسلام»^(١).

ومع حرص أمة الإسلام على تقديم الخير والصلاح للناس جميعاً، وتعزيز ذلك في نفوس أتباعها، فقد احتضنت في إطارها كل من يسهم بالخير والصلاح في هذه الحياة من غير المسلمين، على اختلاف ألوانهم وتعدد أجناسهم وتنوع لغاتهم، وتباين حضارتهم وتاريخهم وتراثهم.

وفي هذا يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: «ومن الخير أن نقر بأن لكل حضارة خصوصيتها، وأن نبقي على خير ما فيها، وأن نقبّس من إيجابياتها، ونتجنب سلبياتها، وأن لا نقهر أمة على التخلي عن حضارتها، والانقطاع عن جذورها، ما لم تتحول هي من حضارة إلى أخرى باختيارها الحر، وإرادتها المستقلة...»^(٢).

ونظراً لهذه المساحة المنفتحة على التنوع والتعدد في إطاره الإسلامي والإنساني بمجالاته المختلفة فقد أفاد الإسلام من ذلك في إثراء حضارة المسلمين، التي جمعت في رحابها كل من يتوجه لخير وصلاح الحياة وتحقيق النفع للإنسانية، فكان التنوع الحضاري الإنساني إثراء للحضارة الإسلامية، سواء كان ذلك بدخول الناس في دين الله تعالى أفواجا من أقطار وأمصار متنوعة، انسجمت بحضارتها مع الدين الإسلامي، وكانت رافداً من روافد الحضارة الإسلامية، أو كانوا من المبدعين على اختلاف أديانهم

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ج ١، ص ٤٣٥.

(٢) المسلمون والعولمة، ص ١١٤، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ،

وحضارتهم ممن يريدون الخير والصلاح للإنسانية، فهياً الإسلام لهؤلاء وأولئك فرص النجاح بالتجربة والتطوير، مما زاد في إبداعاتهم، وتنمية مهارتهم، وتعزيز وإتقان مخرجاتهم، فكم من إسهامات لغير المسلمين فعلت وأظهرت تحت مظلة الإسلام، مما يؤكد اهتمام الدين الإسلامي بكل ما من شأنه الصلاح والخير للناس جميعاً.

وقد جعل الله تعالى حضارة أمة الإسلام التي تمسكت بهديه، وعملت بشريعته، واستوعبت كل المحسنين ديناً ودنياً في إطارها، حضارة تضيء العالم بما حباها به من محاسن وخصائص، تجعلها سباقة في الميدان الحضاري، متوجهة نحو التطور والتقدم والاهتمام بالعلم والمعرفة، في صورة مثالية، تؤكد على عالميتها وشموليتها.

ومن هنا كان الإسلام مثالا للتعايش والتعارف والتعاون والتكامل مع الآخرين، حيث اجتمع معهم في إطار إنساني عام، يعزز المشتركات العامة بصورة عملية مثلى، تؤمن بالخصوصيات وتحفظها، وتستفيد من المشتركات وتوسعها. وبهذا يؤكد الإسلام قيمة التعارف التي جعل الله التنوع والتعدد علة لها، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية]

المطلب الثالث: وضوح المهام والمسؤوليات المتنومة وتعيدها:

يعتبر الإنسان في نظر الإسلام عنصراً مؤثراً في الحياة، تسمو وترقى إن عمل فيها خيراً، وتدنو وتشقى إن عمل فيها شراً، فمع عدالة الإسلام وتخصيص من عمل خيراً باليسرى، ومن عمل شراً بالعسرى، إلا أن الخير

والصلاح إذا عم وانتشر عم خيره الناس والكائنات جميعا، والشر والفساد إذا انتشر وعم أذاه إلى الناس جميعا، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم، الآية ٤١]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ: خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُذَرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعَلَّنُوا بِهَا إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبُهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بِبَعْضِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ»^(١).

فصلاح الإنسان في الحياة أو فساده لا يختص به فحسب بل يتعداه إلى غيره ممن حوله، ثم إلى الكائنات كلها، إذا كثر الخبث، ومن هنا فقد وزع الإسلام المسؤوليات منذ اللحظة الأولى لوجود الإنسان، بعد اصطفاؤه واستخلافه في هذه الأرض، وتحميله الأمانة، حيث كلف كل إنسان بواجباته حسب المسؤوليات التي تناسب حاله، قال تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّيهِمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات، الآية: ٢٤]، وقال أيضا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ

(١) سنن ابن ماجه، باب العقوبات، حديث رقم ٤٠٠٩، قال الهيثمي: روى ابن ماجه بعضه، رواه البزار، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، ج ٢، ص ٤٢٦، باب ما نهى عن قتله من النساء وغير ذلك.

السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿[سورة الإسراء، الآية: ٣٦].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَإِمَامٌ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وتختلف تلك المسؤوليات والتكليفات باختلاف الحال، فإذا نظرنا إلى الإنسان من وجهة إسلامية سواء كان فرداً أم جماعة، فإننا نرى له حدوداً لا يحق له تجاوزها وعليه مسؤوليات لا يجوز له التقصير فيها، فالفرد له حقوقه وواجباته، والأسرة لها حقوقها وواجباتها، والمجتمع حاكمه ومحكوميه له حقوقه وواجباته، فلا تداخل في الحقوق والواجبات، ولا تعارض بينها، وإن حدث تعارض بسبب الخلل في التطبيق والعمل فقد قدم الإسلام مصلحة الجماعة على مصلحة الأفراد في الدنيا وحفظ للأفراد حقوقهم في الآخرة، حتى يضمن للأمة الإسلامية خيريتها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ^(٢) وَأُمُورٌ تُتَكَرَّرُ نَهَا، قَالُوا:

(١) صحي البخاري، باب العبد راع في مال سيده، حديث رقم ٢٢٣٢.

(٢) الأثر: من أثر يؤثر إيثار إذا أعطى، أراد أنه يُستأثر عليكم، فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار: الانفراد بالشيء، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٢٢، باب الهمزة مع الناء.

يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»^(١).

قال النووي - رحمه الله -: «قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاية الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس، وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة... والأثره وهي: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم»^(٢).

كما ربط الإسلام الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم الأخرى برابطة الإنسانية، التي يشترك أطرافها في هذه الحياة بشراكة حقيقية، فالإسلام يجعل من الأمة الإسلامية أمة تعرف مكانها من الأمم الأخرى وتحمل مسؤولياتها تجاهها، فتسعى لأداء واجباتها، والحصول على حقوقها، معتبرة لواجبات الآخرين، ومعترفة بحقوقهم، متميزة عن غيرها من الأمم في ثوابتها ومبادئها، فلا تخل بمصلحة الإنسان والحياة إن أخل الناس، بل تنتبه إلى مسؤولياتها وترعاها، فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكُونُوا إِمَّةً تَقُولُونَ إِنِ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا»^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٣٣٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد السادس، ج ١٢، ص ٢٢٤-٢٢٥، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم ١٩٣٠، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

المطلب الرابع: اجتماع المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة:

نحى الشارع الإسلامي الحكيم في خطابه للمؤمنين منحى متميزاً، ربطهم بالناس جميعاً برابطة النسب الأرضي، ليكونوا أمة واحدة مع غيرهم من بني آدم، وكرمهم على غيرهم ممن خلق تكريماً، ثم ميزهم بأن جعل منهم أمة مسلمة واحدة من دون الناس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إِلَّا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالْقَوَى»^(١).

وكان الناس أمة واحدة تابعة للحق والهدى، ثم اختلفوا فبعث الله تعالى أنبياءه مبشرين ومنذرين، فهدى من شاء إلى الرشاد، وأضل من شاء، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَئَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٣].

قال الخازن - رحمه الله -: «قوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين واحد. وقيل: هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد إلى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا، وقيل: كان الناس على شريعة واحدة من الحق

(١) الحديث رواه أبو نضرة، مسند الإمام أحمد، حديث شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٢٣٥٣٦، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٦٦، باب الخطب في الحج.

والهدى من وقت آدم إلى مبعث نوح ثم اختلفوا، فبعث الله نوحاً، وهو أول رسول بعث، ثم بعث بعده الرسل... وقيل: كانت الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لأخذ الميثاق فقال: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى، فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم، ثم لما ظهروا إلى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد...»^(١).

ولهذا ميز الله تعالى المؤمنين الذين آمنوا بالله تعالى رباً، والإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وبالقرآن هادياً ودستوراً...، فجعلهم أمة واحدة من دون الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء عليهم السلام، الآية: ٩٢]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠]، كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم على آله وسلم هذه الحقيقة في كتابه الذي وادع فيه يهود يثرب، قال ابن إسحاق - رحمه الله -: «وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَّعَى فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ، (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ...»^(٢).

وذكر فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله - عددا من

(١) لباب التأويل، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٥٠١.

الصفات التي تميز الأمة الإسلامية، ومن أبرزها الربانية والوسطية والدعوة والوحدة^(١)...

وبهذا يتحقق في المؤمن سلامة انتمائه الإنسان العام، وميزة انتمائه الإسلامي الخاص، كما جاء في رسالة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى مالك بن الحارث الأشتر حين ولّاه مصر، حيث قال: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم؛ واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخ في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم الغلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم من صفحك وعفوك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك؛ والله فوق من ولّاك؛ وقد استكفأك أمرهم وابتنالك بهم، فلا تتصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا قوة لك بنقمته، ولا غنى بك من عفوه ورحمته...»^(٢).

وهذا الانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة على مر الزمان يعتبر رافدا من روافد قوة الأمة الإسلامية ومصدرا من مصادر قوتها وعزتها، لما حفل به من مفاخر ومآثر حضارية على مر الزمان، تدعو المسلم إلى التطلع إليها والعودة لمثلها، والسعي لتجديدها وتطويرها، قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: «إن تاريخ كل أمة مادة أصيلة في تربيته لأبنائها، ولاسيما إذا كانت أمة ذات تاريخ عريق ومجيد، وكان لها دورها ورسالتها وأثرها في العالم، على أن الواجب على الأمة أن تتعلم من مآثرها وأمجادها التاريخية، كما تتعلم من أخطائها ونقاط ضعفها»^(٣).

(١) نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام، ليوسف القرضاوي، ص ٨٦-٩٢، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، باب في وصايا الملوك، ج ٢، ص ١٦٤.

(٣) تاريخنا المفترى عليه، ليوسف القرضاوي، ص ١٠، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

ومن هنا توجه الإسلام في نظرته إلى المسلمين في كثير من أحكامه وتعاليمه وتوجيهاته إلى مجموعهم كأمة مستقلة من دون الناس، تتكافأ فيما بينها، وتتوحد في مرجعيتها وأصولها ومصادرها، وتتفق في غاياتها وأهدافها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩]، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدَّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدَّهُمْ عَلَى مُضْغِفِهِمْ وَمُنْشَرَّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ بَكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ»^(١).

وكم من آيات قرآنية توجهت في خطابها إلى المؤمنين بصفة الإيمان، ولاسيما ما يتلوه توجيه رباني لأمة الإسلام، فقد جاء في تفسير ابن أبي حاتم: «أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال: أعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمره، أو شر ينهى عنه»^(٢).

حتى أصبح وصف المؤمنين بالأمة الواحدة والجسد الواحد وصفا مثالياً، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ

(١) سنن أبي داود، باب في السيرة ترد على أهل العسكر، حديث رقم ٢٣٧١، وسكت عنه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ج ٤، ص ٢٠٠.

وَتَعَاطَفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا نَدَّاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١).

المطلب الخامس: انسجام طبيعة الإنسان المسلم مع شريعة ربه تعالى:

من أبرز مصادر قوة الأمة الإسلامية انسجام فطرة وطبيعة أفرادها وجماعاتها مع شريعة الله تعالى، فقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وفطره الإيمان والإسلام لله رب العالمين، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ كَمَا تُتَنَجَّى الْبَيْهَمَةُ بِبَيْهَمَةٍ جَمْعَاءَ»^(٢) هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»^(٣) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه: «... فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ...» [سورة الروم، الآية: ٣٠]»^(٤).

وقد جاء دين الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقياته منسجماً مع متطلبات الإنسان المختلفة لبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة بين فطرة الإنسان ونفسه، وعقله وفكره، وحركته وسلوكه، فوجهت المشاعر والعواطف والميول، وأنارت الأفكار والعقول والفهوم، وقومت الأقوال والأعمال

(١) صحيح البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم ٥٥٥٢.

(٢) جمعاء: أس سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع بها ولا كي، أنظر مادة: جمع، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) جدعاء: أي مقطوعة الأطراف، أو واحدها، أنظر مادة: جدع، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٤٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٢٧١، ١٢٧٠، ١٢٩٦، كتاب تفسير

القرآن، حديث رقم ٤٤٠٢، كتاب القدر، حديث رقم ٦١١٠.

والسلوك، فجعلت من الإنسان المؤمن كائناً مكرماً، مشرفاً ومكلفاً، ومؤهلاً لحمل الأمانة وأداء الرسالة، فلا ازدواجية في حياة المسلم، ولا تناقض ولا انفصام، بل انسجام وتوافق واتزان.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٧٢]، وذكر القرطبي - رحمه الله -، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «الأمانة: الفرائض، عرضها الله عز وجل على السماوات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكروها ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله عز وجل ألا يقوموا به، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها»^(١).

كما تميز التشريع الإسلامي بتوافقه مع قدرة الإنسان في تكاليفه، واعتباره لما يعترىها من أحوال، كالقوة والضعف، والصحة والمرض، والخطأ والنسيان، والنوم واليقظة...، قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ

(١) الجامع لأحكام القرآن، المجلد السابع، ج ١٤، ص ٢٥٥.

عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تجاوز الله عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»^(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبَرَ»^(٣).

وقد خفف الشارع الحكيم عن أهل الأعدار التكاليف التي توقع بهم حرجاً أو مشقة، رحمة بهم ومراعاة لحالهم، فقال جل شأنه: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الفتح، الآية: ١٧].

وتسامح التشريع الإسلامي مع أفراد الذين تجاوزوا حدوده، فلم يقطع الطريق على من أسرف على نفسه عامداً متعمداً، ولم يسد أمامه أبواب التوبة والإنابة، بل دعاه إلى المغفرة والرحمة، ليبقى محاطاً بإطار الدين، يحيا في أحضانه، مستشعراً أخطائه، ومؤنباً نفسه، أملاً في رجوعه وإنابته، قال جل شأنه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

(١) صحيح البخاري، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٦٧٤٤.

(٢) المستدرک على الصحيحین، باب تجاوز الله عن أمتي الخطأ، حديث رقم ٢٧٥٢، وقال عنه الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) سنن أبي داود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، حديث رقم ٣٨٢٢، وسكت عنه.

الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» [سورة الروم، الآية: ٥٣]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي وَاللَّهُ لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاحِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ»^(١).

إلى غير ذلك من انسجام أفراد الأمة الإسلامية مع الكائنات الأخرى، وتنوع وتباين القدرات والمؤهلات البشرية واستيعابها، والتميز النوعي للإنسان الذي أسلم وجهه لله، وتميز المسلم بالسعي إلى التزكية الذاتية، وتبصيره بالمحفزات والروادع الشرعية...

(١) صحيح مسلم، باب في الحظ على التوبة والفرح بها، حديث رقم ٤٩٢٧.

• الغاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنجز الأعمال، وبرحمته تتقبل الطاعات، والصلاة والسلام على الهادي البشري، والسراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن خلال هذه الدراسة لموضوع مصادر قوة الأمة الإسلامية، تم التوصل إلى ما يلي:

١- تقوم مصادر قوة الأمة الإسلامية على مرتكزات ثلاثة: (الكون والطبيعة، والدين والرسالة، والإنسان والفطرة).

٢- من مصادر القوة الكونية للأمة الإسلامية: ثبات السنن الكونية وانسجامها مع الشرع الإلهي، وانسجام الحياة ومجالاتها في هذا الكون مع الدين الإسلامي، والموقع الإستراتيجي، والثروات الكامنة، والمساحات الكبيرة والمتنوعة، إلى غير ذلك من مصادر القوة الكونية التي سخرها الله تعالى للناس عامة وللمسلمين والبلاد الإسلامية خاصة..

٣- من مصادر القوة في الدين الإسلامي، وضوح المبادئ الإسلامية، ورعايته للقيم العظيمة، والمقاصد العامة، وتميزه بخصائص ومحاسن جليلة، إضافة إلى مجموعة من الوعود الربانية الصادقة.

٤- من مصادر قوة الأمة الإسلامية من الناحية البشرية: كثرة عدد المسلمين، وتنوع الأجناس البشرية والانتماءات الحضارية في إطار الإسلام، ووضوح المهام والمسؤوليات المتنوعة وتحديدها، وتنوع وتباين القدرات والمؤهلات البشرية واستيعابها، وتميز المسلم بالسعي إلى

التزكية الذاتية، وتبصيره بالمحفزات والروادع الشرعية، واجتماع المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة، وانسجام طبيعة الإنسان المسلم مع شريعة ربه تعالى، وانسجام أفراد الأمة الإسلامية مع الكائنات الأخرى التي تسبح بحمد الله، والتميز النوعي للإنسان الذي أسلم وجهه لله.

وبعد عرض هذه الدراسة الموجزة يوصي الباحث بما يلي:

- ١- توجه الدراسات البحثية في المؤسسات الأكاديمية نحو إجراء الدراسات العلمية الميدانية المختصة بقضايا ومسائل نهضة الأمة، لتوفير قواعد بيانات تعتمد عليها الجهود العملية.
 - ٢- اهتمام المراكز الدعوية الرسمية والشعبية بتفعيل مصادر قوة الأمة الإسلامية في الأوساط الإسلامية وغيرها.
 - ٣- حث المؤسسات التربوية على غرس هذه الحقائق في نفوس المتعلمين من خلال المناهج الدراسية والبرامج والمشاريع المرادفة.
 - ٤- عقد المراجعات والتحليلات للبرامج والأنشطة الإسلامية العملية، والتأكد من انسجامها مع مصادر القوة في الأمة الإسلامية.
- وفي الختام أحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، وأعاني على كتابتها، بمنه وكرمه، وأسأله جل شأنه أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في أداء بعض حقوق الدعوة الإسلامية علينا، وعالجت الموضوع الذي كتبت فيه، وبصرت به، كما أسأله تعالى أن ينفعني بما كتبت، وأن ينفع به إخواني المسمين، وأن يجعله ذخرا لي يوم الدين، وأن يغفر لي تقصيري وزلاتي إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

• المراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، ج ١، ص ٥٤، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد ٦٥، جمادي الأولى ١٤١٩هـ، السنة الثامنة عشرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- ٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ١٩٩٩م.
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي.
- ٥- أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- ٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سع، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- ٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي.
- ٨- بصائر دعوية، لمحمد أبو الفتح البيانوني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- ٩- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر.
- ١٠- تاريخنا المفترى عليه، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

- ١١- التخطيط للدعوة الإسلامية، لعلّي محمد جريشة، طباعة رابطة العالم الإسلامي.
- ١٢- تعريف عام بدين الإسلامي، لعلّي الطنطاوي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- ١٣- تفسير ابن أبي حاتم.
- ١٤- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طبية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ١٥- التلخيص، للذهبي.
- ١٦- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- ١٧- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر، وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- ١٨- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
- ١٩- الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٢٠- خلق المسلم، لمحمد الغزالي، طبعة نهضة مصر، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٥م.
- ٢١- دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

- ٢٢- الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، لمحمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- ٢٣- ركائز الإيمان بين العقل والقلب، لمحمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة.
- ٢٤- سنن ابن ماجه.
- ٢٥- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- ٢٦- السيرة النبوية لابن هشام، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.
- ٢٧- الشبكة الدعوية، (<http://www.daawa-info.net/books>).
- ٢٨- شرح النووي على مسلم، للنووي.
- ٢٩- الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.
- ٣٠- صحيح البخاري.
- ٣١- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٣٢- العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلا القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن.
- ٣٣- العطاء الحضاري للإسلام، لمحمد عمارة، ص ٤٢، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- ٣٤- فيض القدير، للمناوي، ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

- ٣٥- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لسلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام.
- ٣٦- القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، ص ١٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
- ٣٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق.
- ٣٨- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي، درا الكتب العلمية.
- ٣٩- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، دار الفكر.
- ٤٠- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٤١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٤٢- محاسن خصائص الإسلام، بحث لمحمد أبو الفتح البيانوني، مجلة القبس، العدد الثاني، ١٩٩٩م، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، التركيب للطباعة، طنطا.
- ٤٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي.
- ٤٤- المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- ٤٥- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، الطبعة الأولى.

٤٦- المستصفي من علم الأصول، للإمام الغزالي، وبذيله فوائح الرحموت للعلامة عبد العلي الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للمحقق محب الله بن عبد الشكور، دار صادر، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ.

٤٧- المسلمون والعولمة، ليوسف القرضاوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٤٨- مسند الإمام أحمد.

٤٩- معالم النهوض بالخطاب الإسلامي، بحث لمعاذ البيانوني، الندوة العلمية: الخطاب الديني الواقع وآفاق المستقبل، طرابلس، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، طباعة الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٥٠- المعجم الكبير للطبراني.

٥١- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة، الجامع الكبير.

٥٢- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، لمحمد عمارة، نهضة مصر، الطبعة: ٢، ٢٠٠٤م.

٥٣- مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، لماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٥٤- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، دار الكتاب العربي.

٥٥- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ليوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

- ٥٦- الموافقات، للشاطبي، دراسة وتحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ٥٧- موقع الدكتور زغلول النجار، <http://www.ssqs.net>
- ٥٨- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <http://ar.wikipedia.org/wiki>.
- ٥٩- نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام، ليوسف القرضاي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- ٦٠- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد، لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب، <http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=591>.
- ٦١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة ١، ١٩٩٧م.
- ٦٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري.
- ٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الكناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ٦٤- النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة، للدكتور عبد الحليم عويس، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ٢٧، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.



محتويات العدد القسم الأول

كلمة التحرير	
تقديم	
بين يدي العدد	

القسم الثاني: الأبحاث

- ١- شبهات المستشرقين حول جمع القرآن الكريم "عرض ورد".....
أ.د. محمد إلياس محمد أنور
- ٢- مرويات تفسير القرآن بالقرآن الواردة في تفسير "سورة النحل"
من خلال تفسير جامع البيان "جمعا ودراسة".....
أ.د. هند بنت إبراهيم التويجري
- ٣- المحكم والمتشابه بيان أقول العلماء في تفسيرهما والمسائل
المتعلقة بهما.....
أ.د. أحمد عبد الرحمن الشبيحة
- ٤- دقائق التضمين في كتاب الله المبين.....
أ.د. مصطفى شعبان البسيوني مسعد
- ٥- استدراكات الخازن على البغوي في التفسير.....
د. محمد بن عبد العزيز المسند
- ٦- الاستقسام بالأزلام بين القرآن والتوراة "دراسة مقارنة".....
د. إسماعيل بن عبد المحسن قطب
- ٧- يحيى بن أبي كثير من رواة صغار التابعين.....
أ.د. سليمان سليم إبراهيم
- ٨- المقصد من الاستطاعة في الحج.....
أ.د. صالحة دخيل الحليس
- ٩- الأحكام المتعلقة بالمزدلفة في الحج على حسب ما يقتضيه
العصر.....
د. عواطف تحسين عبد الله البوقري
- ١٠- الخلع في الإسلام دراسة فقهية مقارنة "جمع وإعداد".....
أ.د. مساعد بن محمد الحسني
- ١١- قاعدة المشقة تجلب التيسير وعلاقتها بالسياسة الشرعية.....
أ.د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين
- ١٢- مسؤولية الطبيب عن الأخطاء المهنية.....
أ.د. سلمى بنت محمد بن صالح هوساوي
- ١٣- مصادر قوة الأمة الإسلامية.....
د. معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني

القسم الثالث: متوعات

تهنئة	
مؤتمرات	
أخبار	
مقالات وحوارات	
إصدارات الأعداد السابقة	